مَنْ يَضْرِب خَيْشُومَهَا؟!!

«حَوْلَ أحداثِ الأمَّة الجارية»

صَنَّفَه

أبو عبد الرحمن

عيد بن أبي السعود الكيال

«باحث بالدكتوراه،
كلية الشريعة، جامعة الأزهر»

مكتبة الكيال

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى شيخنا الجليل الحبيب، العَلَّامَة السُّبْكِي المُعَاصِر، من يَرَى الفتنة وهي مقبلة، فيحذر الناس منها، أرسل اللَّه صوته إلى كل حَدَبٍ وصوب، وهدى به من الضلالة، وبصَّر به من العمى، مُعَلِّم الناس الخير، أحسنُ من نظَّر لهذه الفتنة في بلدنا، د. محمد سعيد رسلان، حفظه اللَّه، وثبَّت قَدَمَه على الجادَّة الصحيحة الحقة.

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد للَّه نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ باللَّه تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده اللَّه فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم تسليمًا كثيرًا، بلغ الرسالة وأدى الأمانة، ونصح للأمة، فكشف اللَّه به الغُمَّة، فتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، فالحمد للَّه أولًا وآخرًا وظاهرًا وباطنًا.

أما بعد: فهذه بفضل اللَّه ومَنِّه والذي لا تتم الصالحات إلا به سبحانه، الرسالة الرابعة في سلسلة تصحيح المعتقد، وقد نفدت طبعات الرسائل الثلاث وأعَدْتُ طبعها أكثر من مرّة، وذلك مما دفعني لإكمال البيان بهذه الرسالة الرابعة،

لاسيما وقد وصل الحال بالأمة إلى مُنْحًى خطير، ليس له من دون اللَّه كاشفة، فأبدأ فأقول:

إنه لا ينبغي للدعاة إلى اللَّه على بصيرة وفقه وفهم وعلم، أن ينفصلوا عن واقع الأمة والتعبير عنه، وذلك حتى لا يكون الدعاة في واد وأمتهم في واد آخر، وتتعطل مَهَمَّةُ التبليغ والبيان، وتفقد الدعوة إلى اللَّه أصلها الأم؛ فإنهم المرآة الحقة لأمتهم ومجتمعاتهم، سواء من خلال المنبر أو الكتاب، لا كما يقول العامة وأهل الأهواء: المسرح والسينما مرآة المجتمع، هداهم اللَّه.

وربنا ﷻ قد خلقنا وهو أعلم بنا من أنفسنا، ويعلم ما يصلحنا، وما يفسدنا، أكثر من أنفسنا، قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: ١٤]؟! بلى ربنا تباركت وتعاليت، وعليه، فهو سبحانه الذي يبين لنا ما تستقيم به أمورنا، ولا تستقيم إلا به.

فمن أخذ البيان والتِّبْيان من اللَّه ورسوله ﷺ فقد أوى إلى ركن شديد، ومن رَكَنَ إلى أخذه من غير الكتاب والسنة فهو على شَفَا جُرُفٍ هارٍ ينهارُ به في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾﴾ [آل عمران: ١٣٨].

روى أبو نعيم في حلية الأولياء عن الإمام الشعبي أنه قال في تفسير الآية (٥٧٩٤):

«بيان للناس من العمى، وهدى من الضلالة، وموعظة من الجهل».

والبيان كما قال اللغويون هو: إظهار المعنى وإيضاح ما كان مستورًا قبله، فهو لغة يستعمل في الكشف والظهور والإظهار عن الخفي المبهم، أي هو إخراج الشيء من حيّز الإشكال إلى حيّز التجلي والوضوح، والبيّنة: الدَّلالة الواضحة عقلية كانت أو محسومة، ويسمى ما يُبيَّن به تبيانًا، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، وقال تعالى: ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وقال سبحانه: ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ [الزخرف: ٦٣] وقال: ﴿ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥] وقال ﷻ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤] وقال: ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ

بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال: ٤٢] وقالوا: البيان الكشف عن الشيء، وهم أعم من النطق المختص بالإنسان وذلك بظهور الآيات والعلامات المبيّنة للناس من غير الكلام، وسمّى الكلام بيانًا؛ لكشفه عن المعنى المقصود إظهاره، وسُمّيَ ما يُشْرحُ به المُجْمل والمبهم من الكلام بيانًا، نحو قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [القيامة: ١٩] ويقال بيّنته وأبنته إذا جعلت له بيانًا يكشفه، نحو قوله: ﴿نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [ص: ٧٠] (المفردات في غريب القرآن للأصبهاني (ص: ٦٨)، القاموس المحيط (٤/ ٢٠١) التعريفات للجرجاني (٤٠-٤١)).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى: (٤/ ٥٧):

«وعامة هذه الضلالات إنما تَطْرُق من لم يعتصم بالكتاب والسنة، كما كان الزهري يقول: كان علماؤنا يقولون: الاعتصام بالسنة هو النجاة.

وقال مالك: السنة سفينة نوح، من ركب نجا، ومن تخلَّف غرق» اهـ.

وقال الإمام سهل بن عبد اللَّه التستري فيما رواه أبو نعيم في الحلية (١٤٩١٣): «أيُّما عبد قام بشيء مما أمره اللَّه به من أمر دينه فعمل به، وتمسك به، فاجتنب ما نهي اللَّه تعالى عنه، عند فساد الأمور، وتشويش الزمان، واختلاف الناس في الرأي والتفريق، إلا جعله اللَّه إمامًا يُقتدى به، هاديًا مهديًا، قد أقام الدين في زمانه، وأقام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا الغريب في زمانه، الذي قال رسول اللَّه ﷺ: «**بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ**»[1] وما من عبد دخل في شيء من السُّنة، وكانت نيَّته متقدِّمة في دخوله للَّه، إلا أخرج الجهل من سرِّه شاء أو أبى؛ بتقديمه النيَّة، ولا يَعْرفُ الجهل إلا عالم فقيه زاهد عابد حكيم».

وقال: (١٤٩٣٢): «من كان اقتداؤُه بالنبي ﷺ، لم يكن في قلبه اختيار لشيء من الأشياء، ولا يحول قلبه سوى ما أحب اللَّه ورسوله ﷺ».

ومثله ما قاله الجُنَيْدُ بن محمد فيما رواه في الحلية: (١٥٢١٦) قال: «علمنا مضبوط بالكتاب والسنة، من لم

---

(١) مسلم: (١٤٥).

يحفظ القرآن، ولم يكتب الحديث، ولم يتفقه، لا يُقتدى به».

كذلك روى أبو نعيم في حلية الأولياء عن أبي عثمان سعيد بن إسماعيل (١٥١٨١):

«لما تغير عليه الحال وقت موته، مَزَّق ابنه أبو بكر قميصًا كان عليه، ففتح أبو عثمان عينيه وقال: يا بُنَيَّ، خلاف السُّنَّة في الظاهر، رياء في الباطن».

وقال شيخ الإسلام[1] أبو عثمان الصابوني في عقيدة السلف وأصحاب الحديث (ص: ٢٩٧): «العلم هو السنة، والجهل هو البدعة».

وروى المروزي في كتابه السنة عن عمر بن عبد العزيز الخليفة الموفَّق والعبد الصالح، (٨١): أنه قال: «لو كان بكل بدعة يميتها اللَّه على يدي، وكل سنةٌ ينعشها اللَّه على يدي بَضعة من لحمي وأنَّ عضوًا من أعضائي سقط معها، حتى يأتي ذلك على نفسي، لكان في اللَّه يسيرًا» وعليه، فإنه ليس للأمة مرجعية تبينيَّة دلالية توضيحية كاشفة مظهره للمبهم والخفي من الأمور إلا الكتاب والسنة بفهم سلفنا الكرام

(١) هكذا وصفه الشيخ الإسلام ابن تيمية رحمهما اللَّه تعالى.

الأطهار[١] صحابة رسول اللَّه ﷺ ومن تبعهم بإحسان، رضي اللَّه عنهم ورضوا عنه، مَنْ شهدوا التنزيل، وسمعوا الكتاب والسنة شفاهة من رسول اللَّه ﷺ، فرأوا ما لم نره، وعلموا ما لم نعلم، وفهموا وفقهوا ما لم نفقه ونفهم، مَنْ كان لهم قدم صدق، مَنْ اختارهم اللَّه لصحبة نبيه وإقامة دينه قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧] وقال: ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٤٥] وقال سبحانه: ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٢] قال القرطبي في تفسيره عند الآية من سورة الحاقة: «قال ابن عباس: أذن حافظة سامعة وذلك الإعلان».

وقال الضحاك: «سمعتها أذن ووعت».

وقال ابن زيد: «واعية: يحذرون معاصي اللَّه أن يعذبهم اللَّه عليها، كما عذَّب من كان قبلهم، تسمعها فتعيها، إنما تعي القلوب ما تسمع الآذان من الخير والشر من باب الوعي» وقال قتادة: «الأذن الواعية: أذن عقلت عن اللَّه تعالى، وانتفعت بما سمعت من كتاب اللَّه ﷻ» اهـ.

---

(١) انظر: السلفية والسلفيون على ميزان الشريعة . لراقمه.

وروى أبو نعيم في الحلية عن أبي الحسين بن هند الفارسي قال: (١٥٥٥٩): «المتمسك لكتاب اللَّه هو الملاحظ للحق على دوام الأوقات، والمتمسك بكتاب اللَّه لا يخفى عليه شيء من أمر دينه، بل يجري في أوقاته على المشاهدة لا الغفلة، فيأخذ الأشياء من مَعْدِنِها ويضعها في معدنها».

وقال الإمام القرشيّ المطَّلبي، محمد بن إدريس الشافعي كما في الحلية (١٣٣٣٧): «ما أوردت الحق والحجة على أحد فقبلها منِّي إلا هبته واعتقدت مودَّته، ولا كابر أحد على الحق ودفع الحجة الصحيحة إلا سقط من عيني ورفضته».

قلت: أوَتدري لم سقط من عينيه ورفضه؟!

والجواب فيما قاله الفقيه التابعي عطاء بن أبي رباح كما في حلية الأولياء (٨٤٥٥): قال «بلغنا أن الشهوة والهوى يغلبان العلم والعقل والبيان» نسأل اللَّه السلامة والعافية.

أوَتدري لم سقط من عينيه ورفضه؟!

والجواب فيما قاله مالك بن دينار كما في الحلية (٢٧٥٧): «يا هؤلاء، إن الكلب إذا طُرح إليه الذهب

والفضة لم يعرفهما، وإذا طُرح إليه العظم أكبَّ عليه، كذلك سفهاؤكم لا يعرفون الحق».

أو تدري لم سقط من عينيه ورفضه ؟!

والجواب في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ﴾ [الصف: ٥].

قال القرطبي في تفسيره عند الآية: «أي لمَّا مالوا عن الحق: أمال اللَّه قلوبهم عن الهدى، ولما زاغوا عن الطاعة أزاغ اللَّه قلوبهم عن الهداية، ولما زاغوا عن الإيمان أزاغ اللَّه قلوبهم عن الثواب، ولما تركوا ما أُمروا به من احترام الرسول ﷺ وطاعة الرب، خلق اللَّه الضلالة في قلوبهم؛ عقوبة لهم على فعلهم» اهـ.

نسأل اللَّه الهداية والتوفيق وعدم الخذلان فمن ترك البيان والتبيان من اللَّه ورسوله بفهم خِيْرَةِ الأمة سلفنا الكرام، وركن إلى عقول الرجال وآراءهم، واستبدل الأعلى الخير، بالذي هو أدنى في الحضيض الأَوْهَدِ، والهبوط الأسفل والهوة السحيقة، فقد ضل وأضل، وزلَّ وأزل، فهو على شَفَا جرف هار، حتى يرجع إلى رشده.

فإليك هذه الرسالة، التي أسأل اللَّه ﷻ أن يجعل لها القبول في قلوب العباد، كما جعل لأخواتها، إنه هو البر الودود العليم الحكيم القيوم المقيت العزيز الرحيم.

وقِوامُ هذه الرسالة على خمسة محاور:

المحور الأول: الحكم على الشيء فرع عن تصوره.

المحور الثاني: ليس كل علم يثمر البركة، ولا كل عالم يُؤخذ بقوله.

المحور الثالث: الناس بين جلال العلم ودناءة الجهل.

المحور الرابع: فتنة الأمة بين صدر الإسلام والواقع المعاصر.

المحور الخامس: من يَضْربُ خيشومها ؟!

* * *

المحور الأول:
«الحكم على الشيء فرع عن تصوُّره»

فعلى وَفْقِ ما قرره أهل العلم، من أن الحكم على الشيء فرع لأصله الذي هو صحة تصوره، وأن المرء لا يستطيع أن يحكم على الشيء بالحرمة أو الوجوب أو الكراهة أو الندب أو الإباحة، أو بكونه سنة أو بدعةٍ، لا يكون له ذلك، إلا بعد حسن تصور الأمر المراد الحكم عليه، تصورًا صحيحًا مستقيمًا، فيعلم حقيقته، وماهيَّته، أي ما هو؟ ثم بعد ذلك يحكم عليه. ومن ثَمَّ. فإن أخطأ في تصوره، أخطأ في حكمه؛ لأن ما بني على باطل فهو باطل، وإن أصاب في تصوره أصاب في حكمه عليه.

روى الحافظ ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (صحيح الجامع) عن إياس بن معاوية أنه قال (١٦١٠):

«إن الشيء إذا بني على عوج لم يكد يعتدل».

ورواه الخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه (١١٥٠) ولفظه:

«إن البناء إذا بُني على غير أُسٍّ لم يكد يَعتدل».

والأُس: الأصل.

ومما يقوى ويساعد على صحة التصور وحسنه: ثراء المادة العلمية عامة، وفي موضوعنا والشرعية خاصة، مع الفهم الصحيح السديد، الذي يؤتيه اللَّه عباده المؤمنين خاصة ثم حُسن إنزاله على الواقع المعاصر بما يناسبه ويلائمه، إنزالًا صحيحًا مُوَفَّقًا.

وهذا ما أوضحه التابعي الجليل فيما رواه أبو نعيم في الحلية، حيث قال الحسن البصري (١٨٢٥): «إن العالم يرى الفتنة وهي مقبلة، ويراها الجاهل وهي مدبرة».

وعلى سبيل ضرب المثال التوضيحي:

١- ما رواه أبو نعيم في حلية الأولياء عن الحسن البصري قال (١٨٤٨): «إن المؤمنين قوم أوثقهم القرآن وحال بينهم وبين هلكتهم، إن المؤمن أسير في الدنيا، يسعى في فكاك رقبته، لا يأمن شيئًا حتى يلقى اللَّه ﷻ، يعلم أنه مأخوذ عليه في سمعه وبصره ولسانه وجوارحه» فهذا تصور صحيح لسبب هلاك المؤمنين ونجاتهم، فمن أوثق نفسه بالقرآن، مؤتمرًا بأوامره، منتهيًا عن نواهيه، وقَّافًا عند حدوده، فقد

أخذ سبيل النجاة، وحال بين نفسه وبين هلاكها، فلما كان التصور صحيحًا، كان فرعه وهو الحكم صحيحًا بصحة أصله.

٢- كذلك ما رواه ابن أبي شيبة في كتاب الفتنة من المصنف عن طارق بن شهاب قال: (٣٨٥٠٢) «جلد خالد ابن الوليد رجلًا حدًّا، فلما كان من الغد جلد حدًّا آخر، فقال رجل: هذه واللَّه الفتنة؛ جلد أمس رجلًا في حدّ، وجلد اليوم رجلًا في حدّ!

فقال خالد: ليس هذه الفتنة، إنما الفتنة أن تكون في أرض يُعمل فيها بالمعاصي فتريد أن تخرج منها إلى أرض لا يُعمل فيها بالمعاصي فلا تجدها».

وهنا نجد أن الرجل قد تصور الفرع أصلًا، فحكم على تصوره، في حين أن خالد بن الوليد ﷺ تصور أصل الفتنة، فكان حكمه أصوب وأسدَّ وأجمع وأشمل.

٣- ومن الأمثلة أيضًا، ما قاله التابعي العالم عون بن عبد اللَّه بن عتبة كما في الحلية (٥٥٥٣) قال: «كان الفقهاء يتواصون بينهم بثلاث، ويكتب بعضهم إلى بعض: من عمل

لآخرته كفاه اللَّه دنياه، ومن أصلح سريرته أصلح اللَّه علانيته، ومن أصلح ما بينه وبين اللَّه، أصلح اللَّه ما بينه وبين الناس».

فلما كان التصور لأمر الدين والدنيا عامة صحيحًا، كانت الوصية التي هي الفرع عن الأصل سديدة صالحة؛ فما خلقنا اللَّه إلا لعبادته بما شرع اللَّه ورسوله، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] والدنيا ممرٌّ يتزود به العبد للآخرة، فمن أراد الدنيا فعليه بعمل الآخرة كما قال تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النساء: ١٣٤]، ومن أصلح ما بينه وبين اللَّه، كان الجزاء من جنس العمل، أصلح اللَّه ما بينه وبين الناس، ومن أصلح ما بينه وبين الناس بفساد ما بينه وبين اللَّه، أفسد اللَّه له أمره كله، ومن أرضى اللَّه - ولو بسخط اللَّه، رضي اللَّه عنه وأرضى عنه الناس، ومن أرضى الناس بسخط اللَّه، سخط اللَّه عليه وأسخط عليه الناس.

٤- كذلك ما رواه أبو نعيم في الحلية (١٥٠٢١) عن الإمام سهل التستري قال:

«لابد للخلق أن يعبدوا شيئًا، من لا يعبد اللَّه، فلابد له

من عبادة شيء، ومن لا يطيع اللَّه فلابد له من أن يطيع شيئًا، ومن لم يتولَّ اللَّه فلابد له من أن يتولَّ شيئًا غير اللَّه، وكذلك جميع الأشياء؛ ولذلك خلقهم، ليس وراء اللَّه منتهى هو نهاية ينتهى إليه، ليس له وراء، ليس وراء اللَّه وراء، وهو وراء كل شيء، جل اللَّه وعزَّ شأنه».

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾ [الحديد: ٣] وهذا من أصح التصوُّرات؛ فقد فُطِرَ العبدُ على أن يعبد شيئًا، فمن زاغ عن اللَّه بما قدمت يداه، فطاعته وموالاته ومعاداته وحبه وبغضه لغير اللَّه، فصحّ استنباطه لصحة تصوره.

ومن هنا نعلم وجه عبادة الناس لكبرائهم، وذلك بتقديم آرائهم بين يدي اللَّه ورسوله ﷺ.

٥- كذلك من أصح الاستنباطات ومن ثم أصح الأحكام، ما رآه عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما أرسل إلى عامله ينصحه مبيّنًا له أسباب الخير والشر فقال كما في الحلية (١٣٠٧١):

«سلام عليك، فإن أهل الكوفة قد أصابهم بلاء وشدة وجور في أحكام وسنن خبيثة سنَّها عليهم عمَّال سوء، إن

قِوام هذا الدين العدل والإحسان، فلا يكونن شيء أهم إليك من نفسك أن توطِّنها لطاعة اللَّه؛ فإنه لا قليل مع الإثم».

فأرجع، رَحِمَهُ ٱللَّهُ، إقامة هذا الدين، وإقامة العدل والإحسان، وإقامة البلاد والعباد، ودفع البلاء والشدة والجور والأحكام الخبيثة وعمال السوء، كل ذلك أرجعه إلى شيء واحد وهو قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الروم: ٤١]، وقال: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [فاطر: ٤٥]، وقال: ﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنفال: ٢٥].

٦- كذلك ما رواه الإمام الآجري في الشريعة عن إمام أهل الشام الأوزاعي قال (١٣٣): «عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس، وإيَّاك وآراء الرجال وإن زخرفوا لك بالقول» فانظر إلى قوله: «وإن رفضك الناس» مع أنه أمره باتباع الآثار؛ أي: باتباع الحق المبين الذي لا حقَّ غيره، ولكن لما حَسُن تصوره لغربة أهل الحق، وكثرة أهل الباطل، وغلبتهم على أهل اللَّه وخاصته، وعُلوّ كلمتهم وذيوعها

وانتشارها مع قبول الناس للباطل، كان حكمه في غاية القوة، وكانت نصيحته مُسدَّدة موفقة، وما هذا كله إلا من حسن التصور الذي لا يؤتاه أي أحد.

٧- ومثله ما رواه الدارمي في سننه عن عبد اللَّه بن مسعود (٢١٣) قال: «لغير الدجال أخوف عليكم من الدجال، أمور تكون من كبرائكم، فأيما مُرِيَّة أو رجيل أدرك ذلك الزمان، فالسمت الأول، السمت الأول، فإنكم اليوم على الفطرة (وفي رواية) على السنة».

ووجه حسن التصور هنا: أن الدجال معلوم لا خفاء فيه وقد بيَّن رسول اللَّه ﷺ الأمر فيه بيانًا شافيًا، فلا خوف منه على المؤمن، إنما الخوف من أمور تكون من كبراءنا، وعلماءنا لا يظهر فيها وجه الباطل إلا بكثير نظر وتأمل؛ فلذلك نصح: إذا اختلطت الأمور واشتبهت، فعليكم بالأمر الأول، والهدي الأول، الأمر العتيق، الضابط الذي لا يطيش.

لما سُئل حمدون القصَّار، كما في حلية الأولياء (١٥١٠٦): ما بال كلام السلف أنفع من كلامنا؟! قال: «لأنهم تكلموا لعزِّ الإسلام، ونجاة النفوس، ورضاء

الرحمن، ونحن نتكلم لعزِّ النفس، وطلب الدنيا، وقبول الخلق».

كذلك روى عن علي بن الفضيل بن عياض أنه قال (١٤٣٦٠):

«يا أبتِ ما أحلى كلام أصحاب محمد ﷺ، فقال: يا بنُي: وتدري لم حلا؟ قال: لا يا أبت. قال: لأنهم أرادوا اللَّه به».

٨- كذلك روى الخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه (٣٨٤): عن عبد اللَّه بن الحسن، وكان يكثر الجلوس إلى ربيعة، فتذاكروا يومًا السنن، فقال رجل كان في المجلس: ليس العمل على هذا، فقال عبد اللَّه: «أرأيت إن كثر الجهال حتى يكونوا هم الحكام، أَفَهُم الحجة على السنة؟!» قال ربيعة: «أشهد أن هذا كلام أبناء الأنبياء».

وربيعة، هو ربيعة الرأي شيخ الإمام مالك رحمهم اللَّه.

فلما ضل الرجل في تصوره الفاسد وهو أن العبرة بقبول النصوص والأدلة عمل الناس، فسد حكمه وأخطأ فيه، فأصلح له عبد اللَّه التصور ليصلح له الحكم، فصوَّبه ربيعه.

٩- كذلك روى الدارمي في سننه عن الحسن البصري قال (٢١٦):

«سنتكم واللَّه الذي لا إله إلا هو بينهما، بين الغالي والجافي، فاصبروا على سنتكم رحمكم اللَّه، فإن أهل السنة كانوا أقل الناس فيما مضى فهم أقل الناس فيما بقي، الذين لم يذهبوا مع أهل الإتراف في إترافهم، ولا مع أهل البدع في بدعهم، وصبروا على سننهم حتى لقوا ربهم، فكذلك إن شاء اللَّه فكونوا».

فحكم حكمًا صحيحًا وهو أن التمسك بالسنة هو النجاة من البدع والمحدثات، والصبر على أمرها ونهيها، وبني ذلك الحكم على تصورٍ صحيح، وهو حسن الظن باللَّه ورسوله، الذي فقدته الأمة، وأحسنت ظنَّها بعقول الرجال، فإلى اللَّه المشتكى.

ومن هنا ومن هذا المنطلق، من الناس من وصف الفتنة العظيمة الدهماء المُجَلِّلة بالثورة المباركة، فعلى ما تصوره كان حكمه، ولن يستشعر خطأ حكمه وتصوره حتى يرى ثمار الداهية المجللة!!!.

ذكر القرطبي في تفسيره عند سورة الأنعام عند الآية (١٥٣) ما رواه الطبري بسنده في كتاب (آداب النفوس):

«أن رجلًا سأل عبد اللَّه بن مسعود رضي الله عنه عن الصراط المستقيم؟ فقال: تركنا محمد ﷺ في أدناه، وطرفه في الجنة، وعن يمينه جوادٌّ[1] وعن يساره جوادٌ، وثَمَّ رجال يدعون من مرَّ بهم، فمن أخذ في تلك الجواد انتهت به إلى النار، ومن أخذ الصراط انتهى به إلى الجنة، ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]» اهـ.

فلا يكون التصور الحق إلا على السبيل الحق.

قال تعالى حاكيًا عن قارون: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾﴾ [القصص: ٧٩] (وهم العامة من جُهَّال الناس) فردَّ عليهم الذين يعلمون تأويله وتفسيره ويحسنون تصوُّره. ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [القصص: ٨٠].

---

(١) جمع: جادة، وهو الطريق.

قال ابن كثير في تفسيره عند الآية: «فلما سمع مقالتهم أهل العلم النافع قالوا لهم: جزاء اللَّه لعباده المؤمنين الصالحين في الدار الآخرة خير مما ترون من حظ الدنيا» اهـ.

قلت: فلما أتى تأويله وخسف اللَّه بقارون وماله وجاهه الأرض ووقعت الهلكة والدمار، رأى الناس العاقبة للفتنة التي رآها أهل العلم وهي مقبلة، قال تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [القصص: ٨١ - ٨٢] فظهر أنه لا يثبت في الفتن إلا أهل العلم ومن سار بهديهم واقتفى آثارهم، وهم الذين لا يتغير رأيهم بعد الفتنة عن قبلها، فلا تضطرب فتاويهم، بل هم بأقدامهم الراسخة على الحق ثابتون سائرون قُدُمًا، لا يضرُّهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى يأتي أمر اللَّه، فإذا هلك العلماء هلك الناس بهلاكهم.

روى ابن أبي شيبة في المصنف من كتاب الفتن، عن هلال بن خبَّاب قال: (٣٨٣٦١) سألت سعيد بن جبير: ما علامة

هلاك الناس؟! قال: «إذا هلك علماؤهم».

ولهلاك العلماء وجوه:

أولها وهو ظاهر الكلمة: موتهم، وذلك ما رواه البخاري في صحيحه (٧٣٠٧) ومسلم (٢٦٧٣) عن عبد اللَّه بن عمر عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن اللَّه لا يقبض العلم انتزاعًا من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبق عالمًا، اتخذ الناس رُءُوسًا جهالًا، فسئلوا فأفتوا بغير علم؛ فضلوا وأَضلوا**» نسأل اللَّه العافية.

والوجه الثاني: أن يشتروا بآيات اللَّه ثمنًا قليلًا، ويشتروا الدنيا بالآخرة، فيهلك الناس بهلاكهم.

والوجه الثالث: إذا حادوا بالناس عن المنهج القويم والصراط المستقيم الذي كان عليه سلفنا الكرام، وقالوا بآرائهم وقدَّموها على قول الصحابة ومن تبعهم بإحسان من الأئمة، فابتدعوا في الدين ما ليس منه.

ومن ثَمَّ، كان لزامًا معرفة ضابط العلم والعلماء، ما هو؟!

* * *

المحور الثاني:
«ليس كلُّ عِلْمٍ يُثْمِرُ البركة، ولا كلُّ عالمٍ يُؤْخَذُ بقوله»

• **أولًا: العلماء صحابة رسول اللَّه ﷺ ومن اقتفى آثارهم فحسب.**

روى الحافظ ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله عن عبد اللَّه بن مسعود قال: (٦٩٣): «لا يزال الناس بخير ما أتاهم العلم من أصحاب رسول اللَّه ﷺ».

وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠] قال **(٩٧١)**: «هم الذين هاجروا مع محمد ﷺ».

وروى أيضًا ابن عبد البر في جامعه عن مجاهد قال (٩٦٩): «العلماء أصحاب محمد ﷺ».

وروى أيضًا عن بقية بن الوليد قال: (٧٠٠): «قال لي الأوزاعي: يا بقية! العلم ما جاء عن أصحاب محمد ﷺ

وما لم يجئ عن واحد منهم فليس بعلم».

وروى عن قتادة في قوله: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلۡحَقَّ﴾ [سبأ: ٦] **قال (٩٦٧):** «أصحاب محمد ﷺ».

قال الحافظ ابن عبد البر في جامعه (٩٦٨): «وكان الأوزاعي يحدِّث عن ابن المسيِّب أنه سُئل عن شيء فقال: «اختلف فيه أصحاب محمد ﷺ ولا رأي لي معهم» قال ابن وضاح: (هذا هو الحق).

قال ابن عبد البر: معناه أنه ليس له أن يأتي بقول يخالفهم جميعًا فيه».

- **ثانيًا: العلم هو الآثار:**

وروى الحافظ أيضًا في جامعه عن سفيان الثوري قال: «إنَّما الدين الآثار».

وروى الخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه عن ابن مسعود قال: (٣٨٨) «إنَّا نقتدي ولا نبتدي، ونتَّبع ولا نبتدع، وإن أفضل ما تمسكنا بالأثر».

وروى ابن بطة في الإبانة الكبرى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: **(١٦٥):**

«أيها الناس إنه لا عذر لأحد بعد السنة في ضلالة ركبها حسبها هدًى، ولا في هدًى تركه حسبه ضلالة، فقد بُيِّنت الأمور، وثبتت الحجة، وانقطع العذر».

وروى ابن بطة أيضًا عن عبد اللَّه بن مسعود أنه قال: (١٨٩):

«يجيء قوم يتركون من السنة مثل هذا (يعني: مَفْصِل الأنملة) فإن تركتموهم جاءوا بالطامة الكبرى».

قلت: أبيان بعد هذا البيان؟!

وروى ابن بطة في الكبرى عن الإمام الشعبي أنه قال: (٦٠٩):

«إنما هلكتم حين تركتم الآثار وأخذتم بالقياس» أي: الذي يخالف الآثار من المعقولات الفاسدة.

وروى كذلك ابن بطة في الكبرى عن أبي إسحاق السبيعي عمرو بن ميمون، أحد الأئمة الأعلام من التابعين قال (٤١١):

«إياكم وهذه الزعانف الذين رغبوا عن السنة وخالفوا الجماعة».

وروى ابن عبد البر في جامعه عن عبد اللَّه بن المبارك كان يقول (٩٩٩): «ليكن الأمر الذي تعتمدون عليه هذا الأثر، وخذوا من الرأي ما يفسر لكم الحديث».

وروى الخطيب في الفقيه والمتفقه عن الإمام مالك بن أنس أنه قال: «ما قلت الآثار في قوم إلا كثرت فيهم الأهواء، وإذا قلت العلماء ظهر في الناس الجفاء».

وروى ابن عبد البر عن شريح القاضي أنه قال: (٦٦٧):

«إنما اقتفي الأثر، فما وجدت في الأثر حدثتكم به» أي: فحسب.

وروى الإمام محمد بن نصر المروزي في السنة عن عبد اللَّه بن مسعود أنه قال (٨١): «إنكم اليوم على الفطرة، وإنكم ستُحدثون، ويحدَثُ لكم، فإذا رأيتم محدثة فعليكم بالهدي الأول».

وروى الخطيب البغدادي في (الفقيه والمتفقه) عن ابن عباس قال: (٣٨٠):

«تمتع النبي ﷺ (أي: في مناسك الحج) فقال عروة بن الزبير: نهى أبو بكر وعمر عن المتعة، فقال ابن عباس:

أراكم ستهلكون !! أقول: قال النبي ﷺ، وتقولون: أبو بكر وعمر. (وفي رواية): هذا الذي أهلككم، واللَّه ما أرى إلا سيعذبكم.

فقال عروة: هما واللَّه كانا أعلم بسنة رسول اللَّه ﷺ وأتبع لها منك.

قال الخطيب: قد كان أبو بكر وعمر على ما وصفهما به عروة، إلا أنه لا ينبغي أن يُقَلَّدَ أحدٌ في ترك ما ثبتت به سنة رسول اللَّه ﷺ».

وروى ابن عبد البر عن الإمام مالك أنه قال: (٩٨٠):

«إنما أنا بشر أخطئ وأصيب، فانظروا في رأيي، فلكما وافق الكتاب والسنة فخذوا به، وكلما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه».

قال الإمام الآجري في الشريعة (١/ ١٢٤):

«علامة من أراد اللَّه به خيرًا، سلوك هذا الطريق: كتاب اللَّه، وسنن رسول اللَّه ﷺ، وسنن أصحابه رضي الله عنهم، ومن تبعهم بإحسان، وما كان عليه أئمة المسلمين في كل بلد إلى آخر ما كان من العلماء، مثل الأوزاعي، وسفيان الثوري، ومالك

ابن أنس، والشافعي، وأحمد بن حنبل، والقاسم بن سلَّام، ومن كان على مثل طريقتهم، ومجانبة كل مذهب يذمّه هؤلاء العلماء» اهـ.

وروى الخطيب في الفقيه عن الإمام أحمد أنه قال (٥٤٨): «إنما هو السنة والاتباع».

وروى اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد عن سفيان الثوري (١١٣) قال: «وجدتُ الأمر الاتباع».

وروى ابن عبد البر في جامعه عن سعيد بن جبير (١٢٨٠) قال: « ما لم يعرفه البدريون فليس من الدين»

- **ثالثًا: الناس عند علمائهم كالصبيان في حجور أمهاتهم.**

روى الحافظ أبو نعيم في الحلية (٤٠٠٧): كان ربيعة بن أبي عبد الرحمن يومًا جالسًا فغطى رأسه، ثم اضطجع فبكى، فقيل له: ما يبكيك؟! قال:

«رياء ظاهر، وشهوة خفية، والناس عند علمائهم كالصبيان في حجور أمهاتهم، ما أمروهم به ائتمروا، وما نهوهم عنه انتهوا» وهذا أمر عظيم!

وروى عن الإمام مالك أنه قال: (٨٨٦٩):

«بلغني أن العلماء يُسْألون يوم القيامة عمَّا يُسألُ عنه الأنبياء».

وسئل سفيان الثوري كما في الحلية (٩٣١٥): أيُّ شيء شر؟! قال: «اللَّهم غَفْرًا، العلماء» أي: إذا فسدوا.

كذلك روى في الحلية عن صالح بن مهران، وكان يقال له الحكيم أنه قال: (١٥٧٢٦): «كل صاحب صنعة لا يقدر أن يعمل في صناعته إلا بآلة، وآلة الإسلام العلمُ، وإذا رأيت العالم لا يتورع في علمه فليس لك أن تأخذ منه».

ولما سُئل حمدون بن أحمد القصار: من العلماء؟ فقال كما في الحلية (١٥١٠٨):

«المستعملون لعلمهم، والمتهمون آرائهم، المقتدون بسير السلف، والمتَّبعون لكتاب اللَّه وسنة نبيِّه محمد ﷺ، لباسهم الخشوع، وزينتهم الورع، وحليتهم الخشية، وكلامهم ذكر اللَّه، أو أمر بمعروف، أو نهي عن منكر، وصمتُهم في آلاء اللَّه ونعمه، نصيحتهم للخلق مبذولة، وعيوبهم عندهم مستورة، يُزهِّدون الخلق في الدنيا،

بالإعراض عنها، ويرغِّبون في الآخرة بالحرص على طلبها».

إن المتأمل في كلام الأئمة المذكور آنفًا، ربيعة، والثوري، ومالك، والحكيم، يُدْرك خطورة الجهل وعدم العلم، والتفريط في معرفة ما لا يسع المسلم جهله، ويعلم أنه لا نجاة للمرء من الفتن إلا بالعلم والمعرفة.

روى أبو نعيم في الحلية عن أبي الدرداء الصحابي وكان من أهل العلم أنه قال (٦٩٥): «مالي أرى علماءكم يذهبون، وجهالكم لا يتعلمون، وأراكم قد أقبلتكم على ما تكفِّل لكم به، وتركتم ما أُمرتم به».

وروى ابن بطة في الإبانة الكبرى عن ابن مسعود ناصحًا للأمة نصح العالم الربَّاني فقال: (١٩٥): «عليكم بالعلم قبل أن يُقبض، وقبضه ذهاب أهله، عليكم بالعلم؛ فإن أحدكم لا يدري متى يقبض، أو متى يفتقر إلى ما عنده، وستجدون أقوامًا يزعمون أنهم يدعونكم إلى كتاب اللَّه وقد نبذوه وراء ظهورهم، فعليكم بالعلم، وإيَّاكم والتبدُّع والتقطُّع والتعمُّق، وعليكم بالعتيق».

وهي نصيحة كافية شافية في بابها ؛ وذلك للآتي :

١- أنه قد حثَّ فيها الناس على التعلم والتعليم قبل فوات الأوان بقبض العلم وذهابه الذي يأتي بغتة، فكم فقدت الأمة بموت العلماء الرّبانيين كالألباني وابن باز وابن عثيمين وأمثالهم.

٢- وبيَّن أن المرء لا يدري متى يفتقر إلى ما عنده من العلم؛ فإن الفتن تأتي فجأة لا تُمهل الناس ليتسلَّحوا بالعلم فيها، ليواجهوها، فمن لم يأخذ بأسباب العلم قبل الحاجة إليه هلك وأهلك، وضل وأضل.

٣- أن قلَّة العلم وذيوع الجهل وبثَّه بين الناس السبب الأعظم في اتباع الضالين المضلين، ومن ثم في الضلال والهلاك معهم، ويظهر ذلك في قوله: «وستجدون أقوامًا يزعمون» فكثير من الدعاة والمتكلمين في دين اللَّه بين الخلق يزعمون للناس أنهم على الصراط المستقيم وما يدعون الناس إلا إليه، وهم على ضلالة، دعاة على أبواب جهنم، فالجاهل معهم على ما قالوا كالريشة في مهبِّ الرياح المتلاطمة المتلاحقة من كل اتجاه، وكل حَدَب وصَوْب، ولا يعلم ويدرك ما عليه القوم من الضلالة إلا من تحصن

وتسلح بالعلم النافع.

٤- تَكَرُّرُه للحثِّ على التعلم، ووصفه الدواء بالرجوع إلى الأمر الأول العتيق. حتى يحذر المرء بذلك من البدع والمحدثات؛ وذلك من خلال معرفة الأمر الأول، المنهاج الحق، المتمثل في قوله ﷺ الذي عليه العمل سلفًا وخلفًا وتلقته الأمة بالقبول: «**مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي**» رواه الترمذي (٢٦٤١) وقال: حسن غريب، والآجري في الشريعة (٢٣، ٢٤) واللاكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة وصححه (١٤٧) وغيرهم، واصفًا بذلك الفرقة الناجية من بين الفرق، المنهاج الذي به نجاة الأمة، ولا نجاة لها إلا به، وبه تُعلم السنة من البدعة، والهدى من الضلال، والحق من الباطل، والغي من الرشاد، والظلمات من النور، وبه يُوزن كل شيء، به توزن الأقوال والأعمال وما عليه الناس، وبه ينضبط السير على الصراط المستقيم ولا يُعرف هذا المنهج إلا على سبيل التعليم والتعلم، كما قال أبو الدرداء فيما رواه أبو نعيم في الحلية (٦٩٥): «ألا فتعلموا وعلّموا فإن العالم والمتعلم في الأجر سواء، ولا خير في الناس بعدهما».

قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣].

قال العلامة السعدي في تفسيره عند الآية: «هذا تأديب من اللَّه لعباده عن فعلهم هذا غير اللَّائق، وأنه ينبغي لهم إذا جاءهم أمرٌ من الأمور المهمة والمصالح العامة فيما يتعلق بالأمن وسرور المؤمنين، أو بالخوف الذي فيه مصيبة عليهم أن يتثبتوا ولا يستعجلوا بإشاعة الخبر، بل يردُّونه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم، أهل الرأي والعلم والنصح والعقل والرَّزانة، الذين يعرفون الأمور ويعرفون المصالح وضدها» اهـ. قلت: وهم أهل منهج الحق كما مضى.

- **رابعًا: من يُوجِّهُ الناس في النوازل والفتن؟!**

ومن هنا تعلم ويتبيَّنُ لك أنه: لا يصلح للتنظير للأمة والتوجيه لها وضبط أمورها والأخذ بمقاليد الأمور فيها، إلا أصحاب المنهج الحق، من كان على سبيل الآثار بمنهجه السلفي المحض في الاتباع وترك المعقولات والابتداع.

قال الحافظ الإمام الذهبي في ميزان الاعتدال (٤/ ٢٦٠/ رقم ٦٦٨٩) وهو يترجم لإمام المتكلمين والأصوليين وكبيرهم: «الفخر بن الخطيب الرازي صاحب التصانيف، رأس في الذكاء والعقليات، لكنه عَرِيٌّ عن الآثار، وله تشكيكات على مسائل من دعائم الدين، يُورث الحيرة، نسأل اللَّه أن يثبت الإيمان في قلوبنا، وله كتاب السر المكتوم في مخاطبة النجوم، سحر صريح، فلعله تاب من تأليفه إن شاء اللَّه تعالى» اهـ.

قلت: هذا جزاء من ترك الآثار واتبع آراء الرجال.

كذلك قال الذهبي في ميزان الاعتدال وهم يترجم لإمام الحنابلة: أبو الوفاء بن عقيل: (٤/ ٦٦ / رقم: **٥٨٩٢**): «أحد الأعلام، وفَرْد زمانه علمًا ونقلًا وذكاء وتفنُّنًا، له كتاب الفنون في أزيد من أربعمائة مجلد، إلا أنه خالف السلف، ووافق المعتزلة في عدَّة بدع، نسأل اللَّه العفو والسلامة، فإن كثرة التبحُّرِ في الكلام ربما أضرَّ صاحبه، ومن حسن إسلام المرء ترْكه ما لا يعنيه» اهـ.

قلت: فكانت سَوْءَةً في وجه هذا العالم أنه خالف السلف في عدة مسائل، ولم يشفع له علمه في العصمة من الزلل،

لماذا؟! لمخالفة المنهج الحق «مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي» فكيف بمن تركه بالكلية وركن إلى التنظير العقلي للناس، الذي يخالف النصوص الصريحة التي لا تحتمل التأويل ولا الصرف عن ظاهرها؟! ما لشيء إلا لمصلحة الدعوة والمسلمين ؟!!!

أينصلح حال الأمة بعين ما نهى عنه اللَّه ورسوله، آلخير في غير: «**مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي**» ؟! آحسن ظن بغير اللَّه وتشكيك وريبة بمنهج اللَّه ورسوله؟! آيُنصر اللَّهُ ورسولهُ بما حرمه اللَّه ورسوله ولم يشرعه لعباده؟! ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [ن: ٣٦ - ٣٧] .

روى البيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٧٦)، والبغوي في شرح السنة من حديث ابن مسعود وجابر مرفوعًا (٤٠٠٦) والحاكم في المستدرك (٢١٣٤ - ٢١٣٥) وصححه ووافقه الذهبي، عن النبي ﷺ قال: «**إن روح القدس نفث في رُوعي أن نفسًا لن تموت حتى تستكمل أجلها، وتستوعب رزقها، فاتقوا اللَّه وأجملوا في الطلب، ولا يحملنَّكم استبطاء الرزق على أن تنالوه بمعصية اللَّه، فإن ما عند اللَّه تعالى لا يُنالُ إلا بطاعته**».

ويتفرع عن هذه النقطة: الوجوب بشرعية الوسيلة؛ فإن مبدأ الغاية تبرر الوسيلة مبدأ ميكافيلِّي كفري لا يتصل بديننا من قريب أو بعيد، فلا يجوز للمرء إصراره أبدًا وهو يعلم، على طول طريقه ومنهجه، على وسيلة غير شرعية، حرَّمها اللَّه ورسوله، أراد بها الوصول إلى تطبيق شرع اللَّه على خلق اللَّه، فإن هذا لا يستقيم على قانون الرجال، فكيف بشريعة ملك الملوك سبحانه، أيُحرِّمُ الشيء، ثم يجعله سبيلًا وسببًا لطاعته؟!

- **خامسًا: الفقه في الدين خيرٌ من كثير العمل:**

روى البخاري في صحيحه (٧١) ومسلم (١٠٣٧) عن معاوية بن أبي سفيان قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: **«من يُرد اللَّه به خيرًا يفقهه في الدين»**.

وروى الخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه هذا الحديث من عدة طرق.

ثم روى بسنده عن نافع مولى ابن عمر أنه قال (٦٤):

«جاء رجل إلى ابن عمر فقال: يا أبا عبد الرحمن: علمني شيئًا أنال به خيرًا، فقال ابن عمر: (تفقه في الدين) فقال

الرجل: ما أراه فهم عني، فعاوده، قال: إنما سألتك أن تعلمني شيئًا أنال به خيرًا. قال ابن عمر: (ويح الآخر، أليس الفقه في الدين خير من كثير العمل؟! إن قومًا لزِموا بيوتهم فصاموا وصلوا حتى يبست جلودهم على أعظمهم، لم يزدادوا؛ بذلك من اللَّه إلا بعدًا)» وهذا معنًى صحيح لا مِرْيَة فيه.

وروى الخطيب أيضًا عن عمر بن عبد العزيز أنه قال: (٦٦):

«من عمل على غير علم، كان ما يُفسدُ أكثر ممَا يصلح»

وروى أيضًا عن مطرف بن عبد اللَّه بن الشخِّير أنه قال: (٦٧):

«العلم أفضل من العمل، ألا ترى أن الراهب يقوم الليل حتى إذا أصبح أشرك».

وروى أبو نعيم في الحلية عن قتادة بن دعامة أنه قال (٧٦٤):

«باب من العلم يحفظه الرجل يطلب به صلاح نفسه وصلاح الناس، خير من عبادة حول كامل».

وروى الحاكم في المستدرك (٣١٤) وقال: على شرط

«اسْتَقَامُوا عَلَى مَحَبَّتِهِ وَعُبُودِيَّتِهِ، فَلَمْ يَلْتَفِتُوا عَنْهُ يَمْنَةً وَلَا يَسْرَةً».

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قُلْ لِي فِي الْإِسْلامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا غَيْرَكَ، قَالَ: «**قُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ**»(١).

وَفِيهِ عَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصَوْا، وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةُ، وَلَا يُحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ**»(٢).

وَالْمَطْلُوبُ مِنَ الْعَبْدِ الاسْتِقَامَةُ وَهِيَ السَّدَادُ، فَإِنْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهَا فَالْمُقَارَبَةُ، فَإِنْ نَزَلَ عَنْهَا: فَالتَّفْرِيطُ وَالْإِضَاعَةُ، كَمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَنْجُوَ أَحَدٌ مِنْكُمْ بِعَمَلِهِ**» قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ**»(٣). فَجَمَعَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ مَقَامَاتِ الدِّينِ كُلَّهَا، فَأَمَرَ بِالاسْتِقَامَةِ، وَهِيَ السَّدَادُ وَالْإِصَابَةُ فِي النِّيَّاتِ

(١) مُسْلِمٌ (٣٨).

(٢) هَذَا الْحَدِيثُ بِلَفْظِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ فِي الْمُسْنَدِ (٢٢٣٣٥).

(٣) مُسْلِمٌ (٢٨١٨).

وَالْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ.

وَأَخْبَرَ فِي حَدِيثِ ثَوْبَانَ: أَنَّهُمْ لَا يُطِيقُونَهَا، فَنَقَلَهُمْ إِلَى الْمُقَارَبَةِ، وَهِيَ أَنْ يُقَرِّبُوا مِنَ الِاسْتِقَامَةِ بِحَسَبِ طَاقَتِهِمْ، كَالَّذِي يَرْمِي إِلَى الْغَرَضِ، فَإِنْ لَمْ يُصِبْهُ يُقَارِبُهُ، وَمَعَ هَذَا فَأَخْبَرَهُمْ: أَنَّ الِاسْتِقَامَةَ وَالْمُقَارَبَةَ لَا تُنَجِّي يَوْمَ الْقِيامَةِ، فَلَا يَرْكَنُ أَحَدٌ إِلَى عَمَلِهِ، وَلَا يُعْجَبُ بِهِ، وَلَا يَرَى أَنَّ نَجَاتَهُ بِهِ، بَلْ إِنَّمَا نَجَاتُهُ بِرَحْمَةِ اللَّهِ وَعَفْوِهِ وَفَضْلِهِ.

فَالاسْتِقَامَةُ كَلِمَةٌ جَامِعَةٌ بِمَجَامِعِ الدِّينِ، وَهِيَ الْقِيامُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عَلَى حَقِيقَةِ الصِّدْقِ وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ، وَالاسْتِقَامَةُ تَتَعَلَّقُ بِالْأَقْوَالِ، وَالْأَفْعَالِ، وَالْأَحْوَالِ، وَالنِّيَّاتِ. فَالِاسْتِقَامَةُ فِيهَا: وُقُوعُهَا لِلَّهِ، وَبِاللَّهِ، وَعَلَى أَمْرِ اللَّهِ» اهـ.

وَلَقَدْ أُوضَحَ الْعَلَّامَةُ حَافِظٌ الْحَكَمِيُّ فِي مُقَدِّمَةِ كِتَابِهِ الْمُبَارَكِ مَعَارِجِ الْقَبُولِ (١/ ١٣ - ١٤) خَصَائِصَ الْفِرْقَةِ النَّاجِيةِ فَقَالَ:

«وَقَدْ أَخْبَرَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ ﷺ أَنَّ الْفِرْقَةَ النَّاجِيةَ هُمْ مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا كَانَ عَلَيْهِ هُوَ وَأَصْحَابُهُ، وَلَا يُعْرَفُ مَا كَانَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ إِلَّا مِنْ طَرِيقِ سُنَّتِهِ الْمَرْوِيَّةِ، وَآثَارِهِ الْمُصْطَفَوِيَّةِ، الَّتِي هِيَ الشَّرِيعَةُ الْغَرَّاءُ، وَالْمَحَجَّةُ الْبَيْضَاءُ، وَإِنَّمَا تَصْلُحُ هَذِهِ

الصِّفَةُ لِحَمَلَتِهَا وَحُفَّاظِهَا وَنُقَّادِهَا الْمُنْقَادِينَ لَهَا، الْمُتَمَسِّكِينَ بِهَا، الذَّابِّينَ عَنْهَا، يَقِفُونَ عِنْدَهَا، وَيَسِيرُونَ بِسَيْرِهَا، لَا يَنْحَرِفُونَ عَنْهَا يَمِينًا وَلَا شِمَالًا، وَلَا يُقَدِّمُونَ عَلَيْهَا لِأَحَدٍ مَقَالًا، وَلَا يُبَالُونَ مَنْ خَالَفَهُمْ، وَلَا مَنْ خَذَلَهُمْ، وَلَا يَضُرُّهُمْ ذَلِكَ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- أَعْنِي بِذَلِكَ: أَئِمَّةَ الْحَدِيثِ وَجَهَابِذَةَ السُّنَّةِ وَجَيْشَ دَوْلَتِهَا، الْمُرَابِطِينَ عَلَى ثُغُورِهَا، الْحَافِظِينَ لِحُدُودِهَا، الْحَامِينَ حَوْزَتَهَا، وَفَّقَهُمُ اللَّهُ ﷻ لِلاسْتِضَاءَةِ بِنُورِهَا، وَالِاهْتِدَاءِ بِهَدْيِهَا الْقَوِيمِ، وَهَدَاهُمْ لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ، وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، فَآمَنُوا بِمَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ، وَأَخْبَرَ بِهِ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ مُحَمَّدٌ ﷺ فِي سُنَّتِهِ، وَتَلَقَّوْهُ بِالْقَبُولِ وَالتَّسْلِيمِ إِثْبَاتًا بِلَا تَكْيِيفٍ، وَلَا تَمْثِيلٍ، وَتَنْزِيهًا بِلَا تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، فَهُمُ الْوَسَطُ فِي فِرَقِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، كَمَا أَنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ هِيَ الْوَسَطُ فِي الْأُمَمِ، فَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى بَيْنَ أَهْلِ التَّعْطِيلِ الْجَهْمِيَّةِ، وَأَهْلِ التَّمْثِيلِ الْمُشَبِّهَةِ، وَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ أَفْعَالِ اللَّهِ تَعَالَى بَيْنَ الْجَبْرِيَّةِ وَالْقَدَرِيَّةِ، وَفِي بَابِ وَعِيدِ اللَّهِ بَيْنَ الْمُرْجِئَةِ وَالْوَعِيدِيَّةِ مِنَ الْقَدَرِيَّةِ وَغَيرِهِمْ، وَفِي بَابِ الْإِيمَانِ وَالدِّينِ بَيْنَ الْحَرُورِيَّةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ، وَبَيْنَ الْمُرْجِئَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ،

وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ الرَّافِضَةِ وَالْخَوَارِجِ.

فَهُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَهُمُ الطَّائِفَةُ الْمَنْصُورَةُ إِلَى قِيامِ السَّاعَةِ، الَّذِينَ لَمْ تَزَلْ قُلُوبُهُمْ عَلَى الْحَقِّ مُتَّفِقَةً مُؤْتَلِفَةً، وَأَقْوَالُهُمْ وَعَقَائِدُهُمْ عَلَى الْوَحْيِ لَا مُفْتَرِقَةً وَلَا مُخْتَلِفَةً، فَانْتَدَبُوا لِنُصْرَةِ الدِّينِ دَعْوَةً وَجِهَادًا، وَقَاوَمُوا أَعْدَاءَهُ جَمَاعَاتٍ وَفُرَادَى، وَلَمْ يَخْشَوْا فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ، وَلَمْ يُبَالُوا بِعَدَاوَةِ مَنْ عَادَى، فَقَهَرُوا الْبِدَعَ الْمُضِلَّةَ، وَشَرَّدُوا بِأَهْلِهَا، وَاجْتَثُّوا شَجَرَةَ الْإِلْحَادِ بِمَعَاوِلِ السُّنَّةِ مِنْ أَصْلِهَا» اهـ.

- **السَّلَفِيُّونَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ:**

رَوَى أَبُو نُعَيْم فِي الْحِلْيَةِ عَنْ عَمْرِو بْنِ سَلَمَةَ أَبِي حَفْصٍ النَّيْسَابُورِيِّ (١٥١٠) أَنَّهُ سُئِلَ: مَنِ الرِّجَالُ؟ فَقَالَ: «الْقَائِمُونَ مَعَ اللَّهِ بِوَفَاءِ الْعُهُودِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ﴾ [الأَحْزَاب: ٢٣] مَنْ لَمْ يَزِنْ أَفْعَالَهُ وَأَحْوَالَهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَلَمْ يَتَّهِمْ خَوَاطِرَهُ، فَلَا تَعُدُّوهُ فِي دِيوَانِ الرِّجَالِ».

أَقُولُ: فَلَا تَعُدُّوهُ مِنَ السَّلَفِيِّينَ، وَهَذِهِ الرُّجُولَةُ هِيَ خَصَائِصُ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ كَمَا ذُكِرَتْ آنِفًا.

• السَّلَفِيُّونَ قَوْمٌ يَنْطِقُونَ بِالْحِكْمَةِ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى:

رَوَى الْبَيْهَقِيُّ فِي الزُّهْدِ الْكَبِيرِ عَنْ أَبِي عُثْمَانَ سَعِيدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ أَنَّهُ قَالَ (٢٩٨): «مَنْ أَمَّرَ السُّنَّةَ عَلَى نَفْسِهِ نَطَقَ بِالْحِكْمَةِ، وَمَنْ أَمَّرَ الْبِدْعَةَ عَلَى نَفْسِهِ نَطَقَ بِالْبِدْعَةِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ﴾ [النُّور: ٥٤].

• السَّلَفِيُّونَ الْخُلَّصُ أَبْعَدُ النَّاسِ عَنِ الدُّنْيَا:

رَوَى أَبُو نُعَيْم فِي الْحِلْيَةِ عَنِ الصَّحَابِيِّ الْجَلِيلِ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ (٥٧٩): «أَنَّهُ نَزَلَ بِهِ رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ فَأَكْرَمَ مَثْوَاهُ، وَكَلَّمَ فِيهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَجَاءَهُ الرَّجُلُ فَقَالَ: إِنِّي اسْتَقْطَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ وَادِيًا مِنَ الْعَرَبِ، مَا فِي الْعَرَبِ وَادٍ أَفْضَلَ مِنْهُ، قَدْ أَرَدْتُ أَنْ أَقْطَعَ لَكَ مِنْهُ قِطْعَةً تَكُونُ لَكَ وَلِعَقِبِكَ مِنْ بَعْدِكَ. قَالَ عَامِرٌ: لَا حَاجَةَ لِي فِي قَطِيعَتِكَ، نَزَلَتِ الْيَوْمَ سُورَةٌ أَذْهَلَتْنَا عَنِ الدُّنْيَا: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الْحَجّ: ١]».

• السَّلَفِيَّةُ فِطْرَةُ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا:

خَاطَبَ رَبُّنَا سَلَفَنَا الْكِرَامَ صَحَابَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لَهُمْ: ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ

ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾ [الْبَقَرَة: ١٣٧ - ١٣٨]، قَالَ الْقُرْطُبِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ عِنْدَ الْآيَةِ (٢/ ١٠٨): «الْخِطَابُ لِمُحَمَّدٍ ﷺ وَأُمَّتِهِ، وَالْمَعْنَى: فَإِنَّ آمَنُوا مِثْلَ إِيمَانِكُمْ، وَصَدَّقُوا مِثْلَ تَصْدِيقِكُم فَقَدِ اهْتَدَوْا؛ فَالْمُمَاثَلَةُ وَقَعَتْ بَيْنَ الْإِيمَانَيْنِ... ﴿صِبۡغَةَ ٱللَّهِۖ﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ: أَيْ: فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا» اهـ.

وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ عِنْدَ الْآيَةِ (١/ ١٧٥): «﴿فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ﴾ أَيْ: فَقَدْ أَصَابُوا الْحَقَّ وَأَرْشَدُوا إِلَيْهِ... قَوْلُهُ: ﴿صِبۡغَةَ ٱللَّهِۖ﴾ أَيْ: دِينَ اللَّهِ، وَانْتِصَابُ صِبْغَةِ اللَّهِ إِمَّا عَلَى الْإِغْرَاءِ، كَقَوْلِهِ: ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ﴾ [الرُّوم: ٣٠] أَيِ: الزَمُوا ذَلِكَ عَلَيكُمُوهُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَدَلًا مِنْ قَوْلِهِ: ﴿مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ٩٥]» اهـ.

فَبَيَّنَ رَبُّنَا أَنَّ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارَ لَوْ آمَنُوا بِمِثْلِ إِيمَانِ السَّلَفِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَأُرْشِدُوا إِلَى الْحَقِّ الَّذِي هُوَ صِبْغَةُ اللَّهِ الَّتِي صَبَغَ بِهَا عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ.

- **الْحَائِدُونَ عَنْ سَبِيلِ السَّلَفِ يَأْتِيهِمْ مَا يُوعَدُونَ مِنَ الْهَلَاكِ وَالضَّلَالِ:**

رَوَى الدَّارِمِيُّ فِي سُنَنِهِ (٢٠٤) فِي الْمُقَدِّمَةِ، عَنِ التَّابِعِيِّ

عَمْرِو بْنِ سَلَمَةَ أَنَّهُ قَالَ: «كُنَّا نَجْلِسُ عَلَى بَابِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَبْلَ صَلَاةِ الْغَدَاةِ، فَإِذَا خَرَجَ مَشَيْنَا مَعَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ[1]، فَجَاءَنَا أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ فَقَالَ: أَخَرَجَ عَلَيْكُمْ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ بَعْدُ؟ قُلْنَا: لَا، فَجَلَسَ مَعَنَا حَتَّى خَرَجَ، فَقُمْنَا إِلَيْهِ جَمِيعًا، فَقَالَ لَهُ أَبُو مُوسَى: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ آنِفًا أَمْرًا أَنْكَرْتُهُ، وَلَمْ أَرَ -وَالْحَمْدُ لِلَّهِ- إِلَّا خَيْرًا، قَالَ: فَمَا هُوَ؟ فَقَالَ: إِنْ عِشْتَ فَسَتَرَاهُ[2]، قَالَ: رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ قَوْمًا حِلَقًا جُلُوسًا يَنْتَظِرُونَ الصَّلَاةَ، فِي كُلِّ حَلْقَةٍ رَجُلٌ، وَفِي أَيْدِيهِمْ حَصًى، فَيَقُولُ: كَبِّرُوا مِائَةً، فَيُكَبِّرُونَ مِائَةً، فَيَقُولُ: هَلِّلُوا مِائَةً، فَيُهَلِّلُونَ مِائَةً، وَيَقُولُ: سَبِّحُوا مِائَةً، فَيُسَبِّحُونَ مِائَةً، قَالَ: فَمَاذَا قُلْتَ لَهُمْ؟ قَالَ: مَا قُلْتُ لَهُمْ شَيْئًا انْتِظَارَ رَأْيِكَ وَانْتِظَارَ أَمْرِكَ[3]، قَالَ: أَفَلَا أَمَرْتَهُمْ أَنْ يَعُدُّوا

---

(١) يَظْهَرُ مِنْهُ حِرْصُ السَّلَفِ عَلَى التَّعَلُّمِ وَالصَّبْرِ عَلَيْهِ، فَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ ﷺ مِنْ فُقَهَاءِ وَعُلَمَاءِ الْأُمَّةِ الَّذِي أَوْصَى النَّبِيُّ ﷺ بِفِقْهِهِ حَيْثُ قَالَ: «**عَلَيْكُمْ بِفِقْهِ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ**».

(٢) وَذَلِكَ أَنَّ مِنْ مَنْهَجِ السَّلَفِ كَثْرَةَ ذِكْرِ الْمَوْتِ؛ لِتَسْتَقِيمَ لَهُمْ دُنْيَاهُمْ وَآخِرَتُهُمْ، فَمَا بَيْنَ الْمَسْجِدِ وَبَيْنَهُمْ خُطُواتٌ.

(٣) وَهَذَا مِنْهُ ﷺ تَبْجِيلٌ وَتَوْقِيرٌ لِلْعِلْمِ وَأَهْلِهِ، وَدَلِيلٌ عَلَى مَكَانَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ بَيْنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

سَيِّئَاتِهِمْ، وَضَمِنْتَ لَهُمْ أَلَّا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِهِمْ؟

ثُمَّ مَضَى وَمَضَيْنَا مَعَهُ، حَتَّى أَتَى حَلْقَةً مِنْ تِلْكَ الْحِلَقِ فَوَقَفَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ: مَا هَذَا الَّذِي أَرَاكُمْ تَصْنَعُونَ؟

قَالُوا: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، حَصًى نَعُدُّ بِهِ التَّكْبِيرَ وَالتَّهْلِيلَ وَالتَّسْبِيحَ، قَالَ: فَعُدُّوا سَيِّئَاتِكُمْ، فَأَنَا ضَامِنٌ أَلَّا يُضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِكُمْ شَيْءٌ، وَيْحَكُمْ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ! مَا أَسْرَعَ هَلَكَتَكُمْ؛ هَؤُلَاءِ صَحَابَةُ نَبِيِّكُمْ ﷺ مُتَوَافِرُونَ[1]، وَهَذِهِ ثِيَابُهُ لَمْ تَبْلَ، وَآنِيَتُهُ لَمْ تُكْسَرْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّكُمْ لَعَلَى مِلَّةٍ هِيَ أَهْدَى مِنْ مِلَّةِ مُحَمَّدٍ، أَوْ مُفْتَتِحُو بَابِ ضَلَالَةٍ، قَالُوا: وَاللَّهِ يَا أَبَا عَبْدِالرَّحْمَنِ مَا أَرَدْنَا إِلَّا الْخَيْرَ، قَالَ: وَكَمْ مِنْ مُرِيدٍ لِلْخَيْرِ لَنْ يُصِيبَهُ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَدَّثَنَا: أَنَّ قَوْمًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ[2]، وَايْمُ اللَّهِ مَا أَدْرِي لَعَلَّ أَكْثَرَهُمْ مِنْكُمْ.

فَقَالَ عَمْرُو بْنُ سَلَمَةَ: رَأَيْنَا عَامَّةَ أُولَئِكَ الْحِلَقِ يُطَاعِنُونَا يَوْمَ النَّهْرَوَانِ مَعَ الْخَوَارِجِ».

(١) وَظَاهِرُ الْكَلَامِ، أَيْ: هَلْ فَعَلَ صَحَابَةُ الرَّسُولِ ﷺ مَا تَفْعَلُونَ، أَخالَفْتُمُوهُمْ وَهُمْ أَمَامَكُمْ، فَمَا أَمْرُكُمْ إِذَا مَاتُوا؟! لِذَلِكَ قَالَ لَهُمْ: مَا أَسْرَعَ هَلَكَتَكُمْ.

(٢) وَالْحَدِيثُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٣٥١) وَبَقِيَّتُهُ: «يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ؛ لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ ثَمُودَ».

• **عُمْقُ السَّلَفِ فِي الْفَهْمِ وَالتَّأْوِيلِ وَالِاسْتِنْبَاطِ:**

فَإِنَّ الْمُتَأَمِّلَ فِي هَذَا الْأَثَرِ الْعَظِيمِ، يَظْهَرُ لَهُ جَلِيًّا عُمْقُ الْفَهْمِ وَالِاسْتِنْبَاطِ، وَمَعْرِفَةُ مَا يَئُولُ إِلَيْهِ الْأَمْرُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ؛ وَذَلِكَ تَجِدُهُ فِي الرَّبْطِ الَّذِي اسْتَنْبَطَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ ﷺ، بَيْنَ الِابْتِدَاعِ فِي الدِّينِ وَحَمْلِ السَّيْفِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَاسْتِبَاحَةِ أَمْوَالِهِمْ وَأَعْرَاضِهِمْ وَدِمَائِهِمْ، وَقَدْ كَانَ مَا اسْتَنْبَطَهُ وَتَأَوَّلَهُ كَمَا فِي كَلَامِ عَمْرِو بْنِ سَلَمَةَ، مِنْ أَنْ هَؤُلَاءِ أَصْحَابَ الْحِلَقِ كَانُوا مَعَ الْخَوَارِجِ يُحَارِبُونَ الصَّحَابَةَ وَالتَّابِعِينَ.

فَالْهَلَكَةُ كُلُّ الْهَلَكَةِ فِي الْمَيْلِ عَنْ مَنْهَجِ السَّلَفِ الْكِرَامِ، فَإِنَّ عَاقِبَةَ مُخَالَفَتِهِمْ إِلَى هَلَاكٍ وَضلَالٍ؛ وَأَنَّ الِابْتِدَاعَ فِي الدِّينِ هُوَ أَصْلُ الْفَسَادِ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ.

رَوَى الْآجُرِّيُّ فِي الشَّرِيعَةِ (٢١٠٦) عَنِ التَّابِعِيِّ الْجَلِيلِ: أَبِي قِلَابَةَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ الْجَرْمِيِّ أَنَّهُ قَالَ: «مَا ابْتَدَعَ رَجُلٌ قَطُّ بِدْعَةً إِلَّا اسْتَحَلَّ السَّيْفَ».

وَرَوَى أَيْضًا عَنْ سَلَّامِ بْنِ أَبِي مُطِيعٍ أَنَّهُ قَالَ (٢١١١): «كَانَ أَيُّوبُ (السِّخْتِيانِيُّ) يُسَمِّي أَصْحَابَ الْبِدَعِ خَوَارِجَ وَيَقُولُ: «إِنَّ الْخَوَارِجَ اخْتَلَفُوا فِي الاسْمِ وَاجْتَمَعُوا عَلَى السَّيْفِ».

وَرَوَى ابْنُ بَطَّةَ فِي الْإِبَانَةِ الْكُبْرَى عَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ أَنَّهُ قَالَ (٦٨٥): «عَلَيْكُمْ بِالسُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ، وَمَا يَنْفَعُكُمُ اللَّهُ بِهِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْخَوْضَ وَالْجِدَالَ وَالْمِرَاءَ، فَإِنَّهُ لَا يُفْلِحُ مَنْ أَحَبَّ الْكَلَامَ، وَكُلُّ مَنْ أَحْدَثَ كَلَامًا لَمْ يَكُنْ آخِرُ أَمْرِهِ إِلَّا إِلَى بِدْعَةٍ؛ لِأَنَّ الْكَلَامَ لَا يَدْعُو إِلَى خَيْرٍ، وَلَا أُحِبُّ الْكَلَامَ وَلَا الْخَوْضَ وَلَا الْجِدَالَ، وَعَلَيْكُمْ بِالسُّنَّةِ وَالْآثَارِ وَالْفِقْهِ الَّذِي تَنْتَفِعُونَ بِهِ، وَدَعُوا الْجِدَالَ وَكَلَامَ أَهْلِ الزَّيْغِ وَالْمِرَاءِ، أَدْرَكْنَا النَّاسَ[1] لَا يَعْرِفُونَ هَذَا، وَيُجَانِبُونَ أَهْلَ الْكَلَامِ، وَعَاقِبَةُ الْكَلَامِ لَا تَئُولُ إِلَى خَيْرٍ، أَعَاذَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنَ الْفِتَنِ، وَسَلَّمَنَا وَإِيَّاكُمْ مِنْ كُلِّ هَلَكَةٍ» اللَّهُمَّ آمِينَ.

لِأَجْلِ ذَلِكَ قَالَ الْإِمَامُ أَيُّوبُ السَّخْتِيانِيُّ فِيمَا رَوَاهُ اللَّالِكَائِيُّ فِي شَرْحِ أُصُولِ الاعْتِقَادِ (٣٥): «إِنَّ الَّذِينَ يُرِيدُونَ مَوْتَ أَهْلِ السُّنَّةِ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ، وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ».

وَأَنَا أَقُولُ: إِنَّ الَّذِينَ يُرِيدُونَ مَوْتَ السَّلَفِيِّينَ يُرِيدُونَ:

(١) وَالنَّاسُ: سَلَفُنَا الْكِرَامُ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ.

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الصف: ٨].

وَقَالَ أَيُّوبُ أَيْضًا (٢٩): «إِنِّي أُخْبَرُ بِمَوْتِ الرَّجُلِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ، فَكَأَنِّي أَفْقِدُ بَعْضَ أَعْضَائِي».

* * *

الْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ

مَنْهَجُ السَّلَفِ فِي سَمَاعِ حُجَّةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلامِ فِي مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى (١٦/ ٨-١٥):

«فَصْلٌ فِي السَّمَاعِ: أَصْلُ السَّمَاعِ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ بِهِ: هُوَ سَمَاعُ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ سَمَاعَ فِقْهٍ وَقَبُولٍ؛ وَلِهَذَا انْقَسَمَ النَّاسُ فِيهِ أَرْبَعَةَ أَصْنَافٍ: صِنْفٌ مُعْرِضٌ مُمْتَنِعٌ عَنْ سَمَاعِهِ، وَصِنْفٌ سَمِعَ الصَّوْتَ وَلَمْ يَفْقَهِ الْمَعْنَى، وَصِنْفٌ فَقِهَهُ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَقْبَلْهُ، وَالرَّابِعُ الَّذِي سَمِعَهُ سَمَاعَ فِقْهٍ وَقَبُولٍ.

فَالأَوَّلُ: كَالَّذِينَ قَالَ فِيهِمْ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فُصِّلَتْ: ٢٦].

وَالصِّنْفُ الثَّانِي: مَنْ سَمِعَ الصَّوْتَ بِذَلِكَ لَكِنَّهُ لَمْ يَفْقَهِ الْمَعْنَى، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾﴾ [الْكَهْف: ٥٧]، وَقَوْلُهُ: ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾ يَتَنَاوَلُ مَنْ لَمْ يَفْهَمْ مِنْهُ تَفْسِيرَ اللَّفْظِ كَمَا يَفْهَمُ بِمُجَرَّدِ الْعَرَبِيَّةِ، وَمَنْ فَهِمَ ذَلِكَ لَكِنْ لَمْ يَعْلَمْ نَفْسَ

الْمُرَادِ فِي الْخَارِجِ، وَهُوَ: الْأَعْيَانُ وَالْأَفْعَالُ وَالْأَصْنَافُ الْمَقْصُودَةُ بِالْأَمْرِ وَالْخَبَرِ، بِحَيْثُ يَرَاهَا وَلَا يَعْلَمُ أَنَّهَا مَدْلُولُ الْخِطَابِ: مِثْل مَنْ يَعْلَمُ وَصْفًا مَذْمُومًا وَيَكُونُ هُوَ مُتَّصِفًا بِهِ، أَوْ بَعْضًا مِنْ جِنْسِهِ، وَلَا يَعْلَمُ أَنَّهُ دَاخِلٌ فِيهِ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الْأَنْفَال: ٢٢، ٢٣]، قَالَ ذَلِكَ بَعْدَ قَوْلِهِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الْأَنْفَال: ٢٠، ٢١]، فَقَوْلُهُ: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ لَمْ يُرِدْ بِهِ مُجَرَّدَ إِسْمَاعِ الصَّوْتِ؛ لِوَجْهَيْنِ:

أَحَدِهِمَا: أَنَّ هَذَا السَّمَاعَ لَابُدَّ مِنْهُ وَلَا تَقُومُ الْحُجَّةُ عَلَى الْمُدَّعِينَ إِلَّا بِهِ، كَمَا قَالَ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾ [التَّوْبَة: ٦]، وَقَالَ: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الْأَنْعَام: ١٩]، وَقَالَ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الْإِسْرَاء: ١٥].

وَالثَّانِي: أَنَّهُ وَحْدَهُ لَا يَنْفَعُ، فَإِنَّهُ قَدْ حَصَلَ لِجَمِيعِ الْكُفَّارِ الَّذِينَ اسْتَمَعُوا الْقُرْآنَ وَكَفَرُوا بِهِ، بِخِلَافِ إِسْمَاعِ الْفِقْهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ هُوَ الَّذِي يُعْطِيهِ اللَّهُ لِمَنْ فِيهِ خَيْرٌ، وَهَذَا نَظِيرُ مَا فِي

الصَّحِيحَيْنِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**»[1].

وَهَذِهِ الْآيَةُ وَالْحَدِيثُ يَدُلَّانِ عَلَى أَنَّ مَنْ لَمْ يَحْصُلْ لَهُ السَّمَاعُ الَّذِي يُفْقَهُ مَعَهُ الْقَوْلُ، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَعْلَمْ[2] فِيهِ خَيْرًا، وَلَمْ يُرِدْ بِهِ خَيْرًا، وَأَنَّ مَنْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا، أَوْ أَرَادَ بِهِ خَيْرًا فَلَابُدَّ أَنْ يَسْمَعَهُ وَيَفْقَهُهُ، إِذِ الْحَدِيثُ قَدْ بَيَّنَ: أَنَّ كُلَّ مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ؛ فَالأَوَّلُ مُسْتَلْزِمٌ الثَّانِي، وَالصِّيغَةُ عَامَّةٌ، فَمَنْ لَمْ يُفَقِّهْهُ لَمْ يَكُنْ دَاخِلًا فِي الْعُمُومِ، فَلَا يَكُونُ اللَّهُ أَرَادَ بِهِ خَيْرًا، وَقَدِ انْتَفَى فِي حَقِّهِ اللَّازِمِ، فَيَنْتَفِي الْمَلْزُومُ.

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ [الْأَنْفَال: ٢٣] بَيَّنَ أَنَّ الْأَوَّلَ شَرْطٌ لِلثَّانِي، شَرْطًا نَحْوِيًّا، وَهُوَ مَلْزُومٌ وَسَبَبٌ، وَهَذَا حَالُ الْمُؤْمِنِينَ، بِخِلَافِ الَّذِينَ يَقُولُونَ بِسَمَاعٍ لَا فِقْهَ مَعَهُ، أَوْ فَقْهٍ لَا سَمَاعَ مَعَهُ، أَعْنِي هَذَا السَّمَاعَ، وَدَلَّتِ الْآيَةُ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ لِكُلِّ مَنْ سَمِعَ وَفَقِهَ يَكُونُ فِيهِ خَيْرٌ، بَلْ قَدْ يَفْقَهُ وَلَا يَعْمَلُ بِعِلْمِهِ، فَلَا يَنْتَفِعُ بِهِ، فَلَا يَكُونُ فِيهِ خَيْرٌ.

(١) الْبُخَارِيُّ (٧٣١٢) وَمُسْلِمٌ (١٠٣٧/ ١٧٥) الْإِمَارَة.

(٢) أَيْ: أَنَّ اللَّهَ عَلِمَ أَنَّهُ لَيْسَ فِيهِ خَيْرٌ.

الصِّنْفُ الثَّالِثُ: مَنْ سَمِعَ الْكَلَامَ وَفَقِهَهُ، لَكِنَّهُ لَمْ يَقْبَلْهُ وَلَمْ يُطِعْ أَمْرَهُ، كَالْيَهُودِ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾﴾ [النِّسَاء: ٤٦] فَلَوْ عَمِلُوا بِهِ لَرُحِمُوا، وَلَكِنْ لَمْ يَعْمَلُوا بِهِ، فَكَانُوا مَغْضُوبًا عَلَيْهِمْ مَلْعُونِينَ، وَهَذَا جَزَاءُ مَنْ عَرَفَ الْحَقَّ، وَلَمْ يَتَّبِعْهُ، وَفَقِهَ كَلَامَ الرَّسُولِ وَلَمْ يَكُنْ مُوافِقًا لَهُ بِالْإِقْرَارِ تَصْدِيقًا وَعَمَلًا.

وَالصِّنْفُ الرَّابِعُ: الَّذِينَ سَمِعُوا سَمَاعَ فِقْهٍ وَقَبُولٍ، فَهَذَا هُوَ السَّمَاعُ الْمَأْمُورُ بِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الْمَائِدَة: ٨٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ﴾ [فُصِّلَتْ: ٤٤]، وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ١٣٨] فَالْبَيَانُ يَعُمُّ كُلَّ مَنْ فَقِهَهُ، وَالْهُدَى وَالْمَوْعِظَةُ لِلْمُتَّقِينَ، وَقَوْلُهُ: ﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الْجَاثِية: ٢٠]، وَقَوْلُهُ: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ

﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [الْبَقَرَة: ١، ٢].

وَهُنَا لَطِيفَةٌ تُزِيلُ إِشْكَالًا يُفْهَمُ هُنَا: وَهُوَ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَرْطِ هَذَا الْمُتَّقِي الْمُؤْمِنِ أَنْ يَكُونَ كَانَ[1] مِنَ الْمُتَّقِينَ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَ سَمَاعِ الْقُرْآنِ؛ فَإِنَّ هَذَا أَوَّلًا مُمْتَنِعٌ؛ إِذْ لَا يَكُونُ مُؤْمِنًا مُتَّقِيًا مَنْ لَمْ يَسْمَعْ شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ.

وَثَانِيًا: أَنَّ الشَّرْطَ إِنَّمَا يَجِبُ أَنْ يُقَارِنَ الْمَشْرُوطَ، لَا يَجِبُ أَنْ يَتَقَدَّمَهُ تَقَدُّمًا زَمَنِيًّا، كَاسْتِقْبَالِ الْقِبْلَةِ فِي الصَّلَاةِ.

ثَالِثًا: أَنَّ الْمَقْصُودَ أَنْ يُبَيَّنَ شَيْئَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّ الِانْتِفَاعَ بِهِ وَالِاهْتِدَاءَ وَالِاتِّعَاظَ وَالرَّحْمَةَ هُوَ، وَإِنْ كَانَ مُوجِبًا لَهُ، لَكِنْ لَابُدَّ مَعَ الْفَاعِلِ مِنَ الْقَابِلِ، إِذِ الْكَلَامُ لَا يُؤَثِّرُ فِيمَنْ لَا يَكُونُ قَابِلًا لَهُ، وَإِنْ كَانَ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَهْدِيَ وَيَعِظَ وَيَرْحَمَ، وَهَذَا حَالُ كُلِّ كَلَامٍ.

الثَّانِي: أَنْ يُبَيِّنَ أَنَّ الْمُهْتَدِينَ بِهَذَا هُمُ الْمُؤْمِنُونَ الْمُتَّقُونَ، وَيُسْتَدَلُّ بِعَدَمِ الِاهْتِدَاءِ بِهِ عَلَى عَدَمِ الْإِيمَانِ وَالتَّقْوَى، كَمَا يُقَالُ: الْمُتَعَلِّمُونَ لِكِتَابِ بُقْرَاطَ هُمُ الْأَطِبَّاءُ، وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا أَطِبَّاءَ قَبْلَ تَعَلُّمِهِ، بَلْ بِتَعَلُّمِهِ، وَكَمَا يُقَالُ: كِتَابُ سِيبَوَيْهِ كِتَابٌ

(١) أَيْ: أَنْ يَكُونَ قَبْلَ ذَلِكَ مُتَّقِيًا.

عَظِيمُ الْمَنْفَعَةِ لِلنُّحَاةِ، وَإِنْ كَانُوا إِنَّمَا صَارُوا نُحَاةً بِتَعَلُّمِهِ» اهـ.

وَقَالَ الْإِمَامُ الْقُرْطُبِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ مِنْ سُورَةِ الْأَنْفَالِ (٧/ ٢٧٧ - ٢٧٨): «قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا﴾ [الْأَنْفَال: ٢١] أَيْ: كَالْيَهُودِ أَوِ الْمُنَافِقِينَ أَوِ الْمُشْرِكِينَ، وَهُوَ مِنْ سَمَاعِ الْأُذُنِ: ﴿وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ أَيْ: لَا يَتَدَبَّرُونَ مَا سَمِعُوا، وَلَا يُفَكِّرُونَ فِيهِ، فَهُمْ بِمَنْزِلَةِ مَنْ لَمْ يَسْمَعْ وَأَعْرَضَ عَنِ الْحَقِّ، لِذَلِكَ نَهَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَكُونُوا مِثْلَهُمْ، فَدَلَّتِ الْآيَةُ عَلَى أَنَّ قَوْلَ الْمُؤْمِنِ: سَمِعْتُ وَأَطَعْتُ، لَا فَائِدَةَ فِيهِ مَا لَمْ يَظْهَرْ أَثَرُ ذَلِكَ عَلَيْهِ بِامْتِثَالِ فِعْلِهِ، فَإِذَا قَصَّرَ فِي الْأَوَامِرِ فَلَمْ يَأْتِهَا، وَاعْتَمَدَ النَّوَاهِيَ فَاقْتَحَمَهَا، فَأَيُّ سَمْعٍ عِنْدَهُ وَأَيُّ طَاعَةٍ! . . . قَوْلُهُ: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ قِيلَ: أَسْمَعَهُمُ الْحُجَجُ وَالْبَرَاهِينُ، إِسْمَاعُ فَهْمٍ» اهـ.

وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ عِنْدَ هَذِهِ الْآيَةِ: «﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ أَيْ: لأَفْهَمَهُمْ» اهـ.

وَرَوَى أَبُو نُعَيْمٍ فِي حِلْيَةِ الْأَوْلِيَاءِ عَنِ التَّابِعِيِّ الْبَصِيرِ عَطَاءِ ابْنِ أَبِي رَبَاحٍ أَنَّهُ قَالَ (٨٤٥٥): «بَلَغَنَا أَنَّ الشَّهْوَةَ وَالْهَوَى يَغْلِبَانِ الْعِلْمَ وَالْعَقْلَ وَالْبَيَانَ».

الْمَسْأَلَةُ الْخَامِسَةُ

السَّلَفِيُّونَ وَكَنِيسَةُ الْقُلَّيْسِ

• **أَوَّلًا: أَبْرَهَةُ الْأَشْرَمُ وَبَيْتُ اللَّهِ الْحَرَامُ:**

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ فِي السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ (١/ ٥٤ وَمَا بَعْدَهَا) وَهُوَ يَحْكِي حَادِثَةَ الْفِيلِ، وَمَا كَانَ مِنْ أَبْرَهَةَ الْأَشْرَمِ، مِنْ خُرُوجِهِ بِجُيُوشِهِ وَفِيَلِهِ لِهَدْمِ الْكَعْبَةِ الْحَرَامِ -حَفِظَهَا اللَّهُ مِنْ كَيْدِ الْمَاكِرِينَ-، وَبَيَانَ السَّبَبِ الَّذِي أَدَّى إِلَى ذَلِكَ، فَقَالَ:

«ثُمَّ إِنَّ أَبْرَهَةَ بَنَى الْقُلَّيْسَ بِصَنْعَاءَ، فَبَنَى كَنِيسَةً لَمْ يُرَ مِثْلُهَا فِي زَمَانِهَا بِشَيْءٍ مِنَ الْأَرْضِ، ثُمَّ كَتَبَ إِلَى النَّجَاشِيِّ: إِنِّي قَدْ بَنَيْتُ لَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ كَنِيسَةً لَمْ يُبْنَ مِثْلُهَا لِمَلِكٍ كَانَ قَبْلَكَ، وَلَسْتُ بِمُنْتَهٍ حَتَّى أَصْرِفَ إِلَيْهَا حَجَّ الْعَرَبِ.

فَلَمَّا تَحَدَّثَتِ الْعَرَبُ بِكِتَابِ أَبْرَهَةَ ذَلِكَ إِلَى النَّجَاشِيِّ، غَضِبَ رَجُلٌ مِنْ كِنَانَةَ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَخَرَجَ الْكِنَانِيُّ حَتَّى أَتَى الْقُلَّيْسَ فَقَعَدَ فِيهَا - قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: يَعْنِي: أَحْدَثَ فِيهَا- قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ثُمَّ

خَرَجَ فَلَحِقَ بِأَرْضِهِ، فَأُخْبِرَ بِذَلِكَ أَبْرَهَةُ، فَقَالَ: مَنْ صَنَعَ هَذَا؟ فَقِيلَ لَهُ: صَنَعَ هَذَا رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ، مِنْ أَهْلِ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي تَحُجُّ الْعَرَبُ إِلَيْهِ بِمَكَّةَ؛ لَمَّا سَمِعَ قَوْلَكَ: (أَصْرِفُ إِلَيْهَا حَجَّ الْعَرَبِ) غَضِبَ فَجَاءَ فَقَعَدَ فِيهَا[1]؛ أَيْ: أَنَّهَا لَيْسَتْ لِذَلِكَ بِأَهْلٍ.

فَغَضِبَ عِنْدَ ذَلِكَ أَبْرَهَةُ، وَحَلَفَ لَيَسِيرَنَّ إِلَى الْبَيْتِ حَتَّى يَهْدِمَهُ، ثُمَّ أَمَرَ الْحَبَشَةَ، فَتَهَيَّأَتْ وَتَجَهَّزَتْ، ثَمَ سَارَ وَخَرَجَ مَعَهُ الْفِيَلَةُ، وَسَمِعَتْ بِذَلِكَ الْعَرَبُ فَأَعْظَمُوهُ وَفَظِعُوا بِهِ، وَرَأَوْا جِهَادَهُ حَقًّا عَلَيْهِمْ، حِينَ سَمِعُوا أَنَّهُ يُرِيدُ هَدْمَ الْكَعْبَةِ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ.

فَخَرَجَ إِلَيْهِ رَجُلٌ كَانَ مِنْ أَشْرَفِ أَهْلِ الْيَمَنِ وَمُلُوكِهِمْ يُقَالُ لَهُ: ذُو نَفْرٍ، فَدَعَا قَوْمَهُ وَمَنْ أَجَابَهُ مِنْ سَائِرِ الْعَرَبِ إِلَى حَرْبِ أَبْرَهَةَ، وَجِهَادِهِ عَنْ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ، وَمَا يُرِيدُ مِنْ هَدْمِهِ وَإِخْرَابِهِ، فَأَجَابَهُ إِلَيَّ ذَلِكَ مَنْ أَجَابَهُ، ثُمَّ عَرَضَ لَهُ فَقَاتَلَهُ،

(١) أَيْ: قَضَى فِيهَا حَاجَتَهُ، وَجَعَلَهَا كَدَوْرَةِ الْمِياهِ، فَتَبَوَّلَ فِيهَا وَتَغَوَّطَ، وَلَطَّخَ جُدْرَانَهَا بِالْغَائِطِ، وَمَا دَفَعَهُ إِلَى ذَلِكَ إِلَّا حَمِيَّةٌ عَلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ، كَانَتْ سَتَكُونُ سَبَبًا لِهَلَاكِ الْعَرَبِ.

فَهُزِمَ ذُو نَفْرٍ وَأَصْحَابُهُ، وَأُخِذَ لَهُ ذُو نَفْرٍ فَأُتِي بِهِ أَسِيرًا، فَلَمَّا أَرَادَ قَتْلَهُ قَالَ لَهُ ذُو نَفْرٍ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، لَا تَقْتُلْنِي، فَإِنَّهُ عَسَى أَنْ يَكُونَ بَقَائِي مَعَكَ خَيْرًا لَكَ مِنْ قَتْلِي، فَتَرَكَهُ مِنَ الْقَتْلِ وَحَبَسَهُ عِنْدَهُ فِي وَثَاقٍ، وَكَانَ أَبْرَهَةُ رَجُلًا حَلِيمًا[1].

ثُمَّ مَضَى أَبْرَهَةُ عَلَى وَجْهِهِ ذَلِكَ يُرِيدُ مَا خَرَجَ لَهُ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِأَرْضِ خَثْعَمَ، عَرَضَ لَهُ نُفَيْلٌ فَهَزَمَهُ أَبْرَهَةُ، وَأُخِذَ نُفَيْلٌ أَسِيرًا فَأُتِي بِهِ، فَلَمَّا هَمَّ بِقَتْلِهِ قَالَ لَهُ نُفَيْلٌ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، لَا تَقْتُلْنِي، فَإِنِّي دَلِيلُكَ بِأَرْضِ الْعَرَبِ، وَهَاتَانِ يَدَايَ لَكَ عَلَى قَبِيلَتَيْ خَثْعَمَ: شَهْرَانِ، وَنَاهِس، بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فَخَلَّى سَبِيلَهُ.

وَخَرَجَ بِهِ مَعَهُ يَدُلُّهُ، حَتَّى إِذَا مَرَّ بِالطَّائِفِ، خَرَجَ إِلَيْهِ مَسْعُودُ ابْنُ مُعَتِّبِ بْنِ مَالِكِ بْنِ عَوْفِ بْنِ ثَقِيفٍ مِنْ رِجَالِ ثَقِيفٍ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَقَالُوا لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنَّمَا نَحْنُ عَبِيدُكَ

(١) فَمَعَ حِلْمِهِ فَعَلَ مَا فَعَلَ؛ لِيُعْلَمَ أَنَّ الِانْدِفَاعَ وَالْحَمِيَّةَ غَيْرَ الْمُنْضَبِطَةِ عَلَى الْمَنْهَجِ، إِنَّمَا تَدْفَعُ حَتَّى الْحَلِيمَ إِلَى ارْتِكَابِ مَا لَا يُحْمَدُ عُقْبَاهُ، فَمَا بَالُكَ بِمَنْ يَعُدُّونَ الْعُدَّةَ دَاخِلًا وَخَارِجًا بِكُلِّ حِقْدٍ دَفِينٍ لِلْقَضَاءِ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ الْمُسْتَضْعَفِينَ الْمَفْرَّقِينَ الْمُخْتَلِفِينَ؟!

سَامِعُونَ لَكَ مُطِيعُونَ، لَيْسَ عِنْدَنَا لَكَ خِلَافٌ، وَلَيْسَ بَيْتُنَا هَذَا الْبَيْتَ الَّذِي تُرِيدُ -يَعْنُونَ اللَّاتَ- إِنَّمَا تُرِيدُ الْبَيْتَ الَّذِي بِمَكَّةَ، وَنَحْنُ نَبْعَثُ مَعَكَ مَنْ يَدُلُّكَ عَلَيْهِ، فَتَجَاوَزَ عَنْهُمْ.

وَاللَّاتُ: بَيْتٌ لَهُمْ بِالطَّائِفِ كَانُوا يُعَظِّمُونَهُ نَحْوَ تَعْظِيمِ الْكَعْبَةِ... فَلَمَّا نَزَلَ أَبْرَهَةُ الْمُغَمَّسَ[1]، بَعَثَ رَجُلًا مِنَ الْحَبَشَةِ عَلَى خَيْلٍ لَهُ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَكَّةَ، فَسَاقَ إِلَيْهِ أَمْوَالَ أَهْلِ تِهَامَةَ مِنْ قُرَيْشٍ وَغَيْرِهِمْ، وَأَصَابَ فِيهَا مِائَتَيْ بَعِيرٍ لِعَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ كَبِيرُ قُرَيْشٍ وَسَيِّدُهَا، فَهَمَّتْ قُرَيْشٌ وَكِنَانَةُ وَهُذَيْلٌ وَمَنْ كَانَ بِذَلِكَ الْحَرَمِ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ بِقِتَالِهِ، ثُمَّ عَرَفُوا أَنَّهُمْ لَا طَاقَةَ لَهُمْ بِهِ، فَتَرَكُوا ذَلِكَ» اهـ.

ثُمَّ كَانَ مَا قَصَّهُ اللَّهُ عَلَيْنَا فِي سُورَةِ الْفِيلِ، وَحِفْظِهِ لِبَيْتِهِ الْحَرَامِ، وَإِهْلَاكِ عَدُوِّهِ، حَتَّى قَالَ نُفَيْلُ بْنُ حَبِيبٍ الْخَثْعَمِيُّ وَقْتَهَا:

«أَيْنَ الْمَفَرُّ وَالْإِلَهُ الطَّالِبُ
وَالْأَشْرَمُ الْمَغْلُوبُ لَيْسَ الْغَالِبُ»

---

(١) الْمُغَمَّسُ: مَوْضِعٌ قُرْبَ مَكَّةَ مِنْ طَرِيقِ الطَّائِفِ، عَلَى ثُلُثِ فَرْسَخٍ (مُعْجَم الْبُلْدَانِ، لِيَاقُوتٍ الْحَمَوِيِّ (٥/ ١٦١).

وَلَطَفَ اللَّهُ بِالْعَرَبِ وِكَفَاهُمْ مُؤْنَةَ أَبْرَهَةَ الْأَشْرَمِ وَجُنُودِهِ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ أَوَّلًا وَآخِرًا.

• ثَانِيًا تَعْقِيبٌ عَلَى ضَوْءِ الْوَاقِعِ الْمُعَاصِرِ:

إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ الْعَرَبِيَّ الْكِنَانِيَّ، لَا يَشُكُّ أَحَدٌ فِي حُبِّهِ وَإِخْلَاصِهِ لِعُرْبَيَّتِهِ وَقَوْمِهِ، وَبَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ، وَمَا خَرَجَ وَفَعَلَ الَّذِي فَعَلَ إِلَّا مِنْ هَذِهِ الحَمِيَّةِ عَلَى وَطَنِهِ وَدِينِهِ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَتَفَطَّنْ إِلَى مَا سَيُؤَدِّي إِلَيْهِ هَذَا الْفِعْلُ مِنْ إِثَارَةِ حَفِيظَةِ أَبْرَهَةَ الْأَشْرَمِ بِعُدَّتِهِ وَعَتَادِهِ، وَجَزْمِهِ عَلَى هَدْمِ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ، وَلَوْلَا اللَّهُ فَحَسْبُ لَكَانَ مَا أَرَادَ، فَكَانَتْ هَذِهِ الْحُرُوبُ الَّتِي كَانَتْ قَبْلَ مَجِيئِهِ إِلَى مَكَّةَ، وَلَوْلَا حِلْمُهُ لَأَكَلَ أَمَامَهُ الْأَخْضَرَ وَالْيَابِسَ، فَعُلِمَ يَقِينًا وَجَزْمًا، أَنَّ الْمُعَوَّلَ عَلَيْهِ، إِنَّمَا هُوَ السَّيْرُ عَلَى الْمَنْهَجِ الْحَقِّ الَّذِي أَصَّلَهُ لَنَا سَلَفُنَا الْكِرَامُ، نَحْيَا بِهِ وَنَمُوتُ عَلَيْهِ، وَإِنْ زَاغَ بِنَا زَائِغٌ وَضَعُفْنَا عَنْ سَوَاءِ الصِّرَاطِ، صِرَاطِ السَّلَفِ، اتَّهَمْنَا آرَاءَنَا، فَرَجَعْنَا بِالْآيَةِ عَلَى أَنْفُسِنَا، وَاعْتَرَفْنَا بِالْعَجْزِ، وَأَمْسَكْنَا عَنَانَ الْحَمِيَّةِ وَالْعَقْلِ؛ لِئَلَّا يَتَوَرَّطَ بِنَا فِي الْمَهَالِكِ، وَأَعْطَيْنَا الْمَقَادَةَ وَطَلَبْنَا السَّلَامَةَ.

وَمَا أَشْبَهَ الْيَوْمَ بِالْبَارِحَةِ!! فَلَقَدْ خَرَجَ الْآلَافُ مِنَ الْمُنْتَسِبِينَ

إِلَى السَّلَفِيَّةِ، عَلَى مَا خَرَجَ مِنْ أَجْلِهِ الْكِنَانِيُّ، فَأَحَاطُوا بِكَنِيسَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ وَحَاصَرُوهَا؛ مِنْ بَابِ الضَّغْطِ عَلَى الْكَنِيسَةِ لِإِطْلاقِ سَرَاحِ بَعْضِ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ النَّصَارَى سَوَاءً مِنَ النِّسَاءِ أَوِ الرِّجَالِ، بَعْدَمَا وَصَلَ إِلَيْهِمْ وَإِلَيْنَا مَا يَحْدُثُ لِهَؤُلَاءِ مِنَ التَّعْذِيبِ بِأَنْوَاعِهِ الْمُخْتَلِفَةِ، لَاسِيَّمَا النِّسَاءُ مِنْهُمْ، وَلَا نَشُكُّ فِي حُبِّ هَؤُلَاءِ لِدِينِهِمْ وَحِمَيَّتِهِمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ غَيْرَ أَنَّ الْأُمُورَ لَيْسَ مَرَدُّهَا إِلَى الْحُبِّ وَالْإِخْلَاصِ وَالْحَمِيَّةِ فَحَسْبُ، وَإِنَّمَا مَرَدُّهَا إِلَى أَهْلِ الذِّكْرِ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ تَأْوِيلَهُ، فَيُوجِّهُونَ هَذَا الْحُبَّ، وَهَذَا الْإِخْلاصَ، وَهَذِهِ الْحَمِيَّةَ إِلَى مَا يَعُودُ إِلَى الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ بِالصَّلاحِ وَالْفَلَاحِ، وَلَوْ تُرِكَتْ هَذِهِ الْمَشَاعِرُ وَالْأَحَاسِيسُ مِنْ غَيْرِ مَا إِرْشَادٍ؛ لَأَدَّى ذَلِكَ إِلَى فَسَادِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا، وَذَلِكَ عَلَى التَّفْصِيلِ الْآتِي:

عِنْدَمَا حَدَثَ مَا حَدَثَ، وَخُلِعَ الرَّئِيسُ السَّابِقُ عَنْ مَنْصِبِهِ الْخُلْعَ الْمُفَاجِئَ السَّرِيعَ، حَدَثَ الْفَرَاغُ فِي الْحُكْمِ لَا مَحَالَةَ، وَالْفَرَاغُ الْأَمْنِيُّ الْمُفَاجِئُ الَّذِي أَدَّى إِلَى اضْطِرَابِ أَحْوَالِ الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ، وَظَهَرَتِ الْجَرِيمَةُ أَيَّمَا ظُهُورٍ، فَانْتَشَرَ الْقَتْلُ، وَالسَّرِقَةُ وَالِاغْتِصَابُ فِي كُلِّ أَنْحَاءِ الْبِلَادِ، وَانْحَطَّتْ هَيْبَةُ رِجَالِ الْأَمْنِ تَحْتَ الْأَقْدَامِ حَقِيقَةً لَا مَجَازًا، وَاعْتُدِيَ عَلَى كَثِيرٍ

مِنْهُمْ بَيْنَ الْقَتْلِ وَالضَّرْبِ بِالْأَسْلِحَةِ والسَّكَاكِينِ، وَالْإِهَانَاتِ الَّتِي رَفَضَهَا جُمْهُورُ النَّاسِ، وَمَا تَبِعَ ذَلِكَ مِنْ رَفْعِ الْأَمْنِ وَالْأَمَانِ وَالطُّمَأْنِينَةِ عَلَى الْمَالِ وَالْوَلَدِ وَالْأَهْلِ، وَاضْطُرَّ غَالِبِيَّةُ النَّاسِ لِشِرَاءِ الْأَسْلِحَةِ الَّتِي أَصْبَحَتْ مِنَ الْأَهَمِّيَّةِ بِمَكَانٍ - لِلدِّفَاعِ عَنِ الْعِرْضِ وَالنَّفْسِ وَالْمَالِ، وَبَاتَ مُعَظَمُ النَّاسِ، وَسِلَاحُهُ تَحْتَ وِسَادَتِهِ عَلَى سَرِيرِهِ.

وَمِنْ جَانِبٍ آخَرَ: قَلَّتِ السِّلَعُ الْغِذَائِيَّةُ، وَظَهَرَ ذَلِكَ فِي السِّلَعِ التَّمْوِينِيَّةِ، وَالْغَلَاءِ الَّذِي دَبَّ عَلَى هَذِهِ السِّلْعِ فِي الْأَسْوَاقِ، وَمَا حَدَثَ لِأَنَابِيبِ الْغَازِ وَغَيْرِهَا مِنْ مُسْتَلْزَمَاتِ النَّاسِ الْيَوْمِيَّةِ، وَالْكُلُّ يَتَوَقَّعُ خَرَابًا خِلَالَ أَشْهُرٍ قَلِيلَةٍ جِدًّا، وَانْهِيارًا اقْتِصَادِيًّا، مَا اللَّهُ بِهِ عَلِيمٌ.

ثُمَّ هَذِهِ الْفِتْنَةُ الطَّائِفِيَّةُ الَّتِي تَأَصَّلَتْ وَمُهِّدَتْ أَسْبَابُهَا مِنْ عَشَرَاتِ السِّنِينَ، وَمَا مَنَعَ قِيامَهَا فِي هَذِهِ السَّنَوَاتِ الْمَذْكُورَةِ إِلَّا الْوُجُودُ الْأَمْنِيُّ وَالنِّظَامُ السَّابِقُ، عَلَى مَا فِيهِ، مِمَّا لَا يَخْفَى عَلَى الْقَاصِي وَالدَّانِي، كَمَا لَا يَخْفَى أَيْضًا مَا عِنْدَ الْقَوْمِ مِنَ الْأَسْلِحَةِ الَّتِي أَعَدُّوها لِمَا يَعْلَمُوا حُدُوثَهُ مِنْ قَبْلُ، لَاسِيَّمَا وَقَدْ رَأَوْا مِثْلَ مَا يُرِيدُونَ، فِي السُّودَانِ، وَانْقِسَامَهَا إِلَى دَوْلَةٍ نَصْرَانِيَّةٍ وَأُخْرَى مُسْلِمَةٍ، وَتَرَبُّصُ الْغَرْبِ، أَمْرِيكَا، وَالْعَالَمِ الْكَافِرِ

لِحُدُوثِ ذَلِكَ فِي مِصْرَ، ثُمَّ فِي الدُّوَلِ الْعَرَبِيَّةِ الْأُخْرَى، وَرَغْبَتُهُمْ فِي الدُّخُولِ إِلَى أَرْضِنَا الْحَبِيبَةِ؛ لِتَقْوِيةِ الأَقَلِّيَّاتِ النَّصْرَانِيَّةِ وَتَحَجُّجهُمْ بِتَطْبِيقِ حُقُوقِ الْإِنْسَانِ، وَلَقَدْ أَحَاطَتْنَا أَيْدِي الْعَدُوِّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، وَهَذِهِ أَمْرِيكَا عَلَى طَرَفِ الْبَنَانِ مِنَّا فِي لِيبْيَا، وَمَا يَحْدُثُ مِنْ أَقْبَاطِ الْمَهْجَرِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ بِالضَّغْطِ عَلَى الرَّأْيِ الْعَالَمِيِّ الَّذِي يَنْتَظِرُ ذَلِكَ مِنْهُمْ لِإِشْعَالِ نَارِ الْفِتْنَةِ الَّتِي أُشْعِلَتْ بِالْفِعْلِ فِي مِصْرَنَا.

وَمَا حَدَثَ فِي أَطفيحَ، وَمِنْ بَعْدِهُ وَبِسَبَبِهِ هَذَا التَّقْتِيلُ الَّذِي حَدَثَ فِي مَيْدَانِ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ، وَالقطَّامِيَّةِ وَعَيْنِ شَمْس، وَمَا حَدَثَ فِي امْبَابَةَ، وَمَا حَدَثَ فِي الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ حَتَّى تَدَخَّلَ الْجَيْشُ بِضَرْبِ النَّارِ وَتَقْتِيلِ الْبَعْضِ لتَخمَيدِ الْفِتْنَةِ، وَهَذِهِ التَّحَرِيشَاتُ هُنَا وَهُنَاكَ فِي الصَّعِيدِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْقُرَى وَالْمُدُنِ، لِيَعْلَمَ الْعَاقِلُ الَّذِي يُرِيدُ مَصْلَحَةَ الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ، أَنَّ الْبِلَادَ عَلَى بُرْكَانٍ عَظِيم، خَرَجَتْ مِنْهُ تَنَفُّسَاتٌ يَسِيرَةٌ، وَهُوَ عَلَى وَشَكِ الانْفِجَارِ الْعَامِّ الْأَكْبَرِ، فَيَسْعَى الْعَاقِلُ الْبَصِيرُ إِلَى تَسْكِينِ الْفِتْنَةِ، وَلَمِّ شَتَاتِهَا، وَالْأَخْذِ بِأَسْبَابِ الصَّلَاحِ وَالْفَلَاحِ، وَالْبُعْدِ عَنْ كُلِّ مَا يُؤَجِّجُ أَحْدَاثَهَا الَّتِي فِيهَا هَلَاكُ الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ.

هَذَا الْعَاقِلُ الَّذِي عَلَى بَيِّنَةٍ وَبَصِيرَةٍ بِفِقْهِ الْمَصَالِحِ وَالْمَفَاسِدِ

وَالْمُوازَنَةِ بَيْنَهَا، كَمَا هُوَ شَأْنُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، عَلَى مَا كَانَ فِي قِصَّةِ صُلْحِ الْحُدَيْبِيَةِ، وَتَعْلِيمِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ لِلْأُمَّةِ كَبْحَ جِمَاحِ الْعُقُولِ وَالْآرَاءِ الَّتِي تُخَالِفُ الْمَنْهَجَ الْحَقَّ، وَالتَّلَجُّمَ بِحَكَمَةِ الشَّرْعِ الْحَكِيمِ، الَّتِي مَا تَفَلَّتَ مِنْهَا قَوْمٌ إِلَّا هَلَكُوا، فَيُوقِنُ الْبَصِيرُ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي تَفْتِيحُ مَلَفَّاتٍ لِأَشْخَاصٍ مِنَ النِّسَاءِ أَوِ الرِّجَالِ، الَّذِينَ أَسْلَمُوا، وَلَا نَعْلَمُ أَيْنَ أَذْهَبَتْهُمُ الْكَنِيسَةُ، وَذَلِكَ مِنْ بَابِ دَرْءِ وَدَفْعِ الْمَفْسَدَةِ الْكُبْرَى بِالْمَفْسِدَةِ الصُّغْرَى.

أَلَمْ يَتَّفِقِ الْفُقَهَاءُ الْعُقَلَاءُ أَهْلُ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ عَلَى هَذِهِ الْقَاعِدَةِ الَّتِي نَصُّهَا: «إِذَا تَعَارَضَتْ مَفْسَدَتَانِ رُوعِي أَعْظَمُهُمَا بِارْتِكَابِ أَخَفِّهِمَا».

فَأَيُّ مَفْسَدَةٍ أَشَدُّ، الصَّبْرُ عَلَى مَا يَحْدُثُ لِهَؤُلَاءِ الْأَشْخَاصِ الْقَلِيلَةِ، مَعَ هَذَا الضَّعْفِ الَّذِي فِيهِ الْكَنِيسَةُ وَالنَّصَارَى دَاخِلِيًّا بِحَيْثُ لَا يَكُونُ مِنْهُمُ الْآنَ مِثْلُ ذَلِكَ مَرَّةً أُخْرَى، أَمْ مَفْسَدَةُ الْفِتْنَةِ الطَّائِفِيَّةِ الَّتِي وَقَعَتْ بِالْفِعْلِ وَقُتِلَ مَنْ الْمُسْلِمِينَ قَبْلَ النَّصَارَى الْكَثِيرُ وَالْكَثِيرُ؟! سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ!!!

فَكَانَ مَا يَحْدُثُ لَوْ أَحْسَنَّا الظَّنَّ بِإِخْوَانِنَا عَلَى غِرَارِ: الدُّبِّ الَّذِي قَتَلَ صَاحِبَه حُبًّا وَإِخْلَاصًا وَدِفَاعًا!!!

وَعَلَى صَعِيدٍ آخَرَ: هَذِهِ الْفِتْنَةُ الْأَهْلِيَّةُ الَّتِي ظَهَرَتْ مِنْ جُمْلَةِ الْفِتَنِ بَيْنَ السَّلَفِيِّينَ وَالصُّوفِيِّينَ فِي أَمْرِ هَدْمِ الْأَضْرِحَةَ، وَالْمَعْلُومُ مِنَ الدِّينِ بِالضَّرُورَةِ بِلَا شَكٍّ، أَنَّ الْمُغَالَاةَ فِي الْأَوْلِيَاءِ الصَّالِحِينَ وَمَا يَحْدُثُ مِنَ الشِّرْكِيَّاتِ حَوْلَ هَذِهِ الْأَضْرِحَةِ الَّتِي عُبِدَتْ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَيُطْلَبُ مِنْهَا مَا لَا يُطْلَبُ إِلَّا مِنَ اللَّهِ، يُعَدُّ السَّبَبَ الْأَوَّلَ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ عُبِدَ مَعَ اللَّهِ آلِهَةٌ أُخْرَى، وَأَصْلُ دِينِنَا عَلَى تَحْقِيقِ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ، وَخُلُوصِ الدِّينِ كُلِّهِ لِلَّهِ، غَيْرَ أَنَّ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يُقَالَ:

مَتَى يَحْدُثُ هَذَا التَّغْيِيرُ مِنْ إِنْكَارِ الْمُنْكَرِ؟

وَمَنِ الَّذِي يَقُومُ بِهِ؟

وَمَا هِيَ الْوَسِيلَةُ الشَّرْعِيَّةُ لِلْقِيامِ بِهِ؟

إِنَّ جُذُورَ التَّصَوُّفِ مُتَأَصِّلَةٌ فِي كُلِّ بَيْتٍ مِنْ أُسْوَانَ إِلَى الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ، بَلْ فِي شَتَّى أَنْحَاءِ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ إِلَّا الْقَلِيلَ مِمَّنْ رَحِمَ رَبُّكَ، وَهِذَا يَعْنِي أَنَّ حُدُوثَ هَذَا الْأَمْرِ الْآنَ، وَفِي ظِلِ هَذِهِ الْفِتَنِ سَوْفَ يُؤَدِّي إِلَى حَرْبٍ أَهْلِيَّةٍ يَقْتُلُ فِيهَا الْمُسْلِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَتُضَمُّ الْحُرُوبُ الْأَهْلِيَّةُ إِلَى الْفِتْنَةِ الطَّائِفِيَّةِ فَتَهْلِكُ الْبِلَادُ.

فَإِذَنِ الْأَمْرُ عَظِيمٌ جَلَلٌ، خَطِيرٌ رَهِيبٌ جِدٌّ كَبِيرٌ، لَا يَتَكَلَّمُ فِيهِ إِلَّا أَهْلُ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ تَأْوِيلَهُ، لَا يُسْمَعُ فِيهِ إِلَّا مَا قَالَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، عَلَى فَهْمِ عُقَلَاءِ الْأُمَّةِ وَبُصَرَائِهَا وَمَنْهَجِهِمْ: أَهْلُ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ، الْعُلَمَاءُ الرَّبَّانِيُّونَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ تَأْوِيلَهُ، وَمَا تَصِيرُ إِلَيْهِ أُمُورُ الْبِلادِ وَالْعِبَادِ.

• **ثَالِثًا: الْإِمَامُ السَّلَفِيُّ ابْنُ الْقَيِّمِ وَفِقْهُ الْمَصَالِحِ وَالْمَفَاسِدِ:**

يَقُولُ الْعَلَّامَةُ الْعَالَمُ السَّلَفِيُّ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ فِي كِتَابِهِ الْعَظِيمِ إِعْلَامِ الْمُوقِّعِينَ عَنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٣/ ٥- ٦):

«فَصْلٌ فِي: تَغَيُّرِ الْفَتْوَى وَاخْتِلَافِهَا بِحَسَبِ تَغَيُّرِ الْأَزْمِنَةِ وَالْأَمْكِنَةِ وَالْأَحْوَالِ وَالنِّيَّاتِ وَالْعَوَائِدِ: هَذَا فَصْلٌ عَظِيمُ النَّفْعِ جِدًّا، وَقَعَ بِسَبَبِ الْجَهْلِ بِهِ غَلَطٌ عَظِيمٌ عَلَى الشَّرِيعَةِ، أَوْجَبَ مِنَ الْحَرَجِ وَالْمَشَقَّةِ وَتَكْلِيفِ مَا لَا سَبِيلَ إِلَيْهِ، مَا يُعْلِمُ أَنَّ الشَّرِيعَةَ الْبَاهِرَةَ الَّتِي فِي أَعْلَى رُتَبِ الْمَصَالِحِ لَا تَأْتِي بِهِ؛ فَإِنَّ الشَّرِيعَةَ مَبْنَاهَا وَأَسَاسُهَا عَلَى الْحِكَمِ وَمَصَالِحِ الْعِبَادِ فِي الْمَعَاشِ وَالْمَعَادِ، وَهِيَ عَدْلٌ كُلُّهَا، وَرَحْمَةٌ كُلُّهَا، وَمَصَالِحُ كُلُّهَا، وَحِكْمَةٌ كُلُّهَا، فَكُلُّ مَسْأَلَةٍ خَرَجَتْ عَنِ الْعَدْلِ إِلَى

الْجَوْرِ، وَعَنِ الرَّحْمَةِ إِلَى ضِدِّهَا، وَعَنِ الْمَصْلَحَةِ إِلَى الْمَفْسَدَةِ، وَعَنِ الْحِكْمَةِ إِلَى الْعَبَثِ، فَلَيْسَتْ مِنَ الشَّرِيعَةِ، وَإِنْ أُدْخِلَتْ فِيهَا بِالتَّأْوِيلِ، فَالشَّرِيعَةُ عَدْلُ اللَّهِ بَيْنَ عِبَادِهِ، وَرَحْمَتُهُ بَيْنَ خَلْقِهِ، وَظِلُّهُ فِي أَرْضِهِ، وَحِكْمَتُهُ الدَّالَّةُ عَلَيْهِ وَعَلَى صِدْقِ رَسُولِهِ ﷺ، أَتَمَّ دَلَالَةٍ وَأَصْدَقَهَا، وَهِيَ نُورُهُ الَّذِي بِهِ أَبْصَرَ الْمُبْصِرُونَ، وَهُدَاهُ الَّذِي بِهِ اهْتَدَى الْمُهْتَدُونَ، وَشِفَاؤُهُ التَّامُّ الَّذِي بِهِ دَوَاءُ كُلِّ عَلِيلٍ، وَطَرِيقُهُ الْمُسْتَقِيمُ الَّذِي مَنِ اسْتَقَامَ عَلَيْهِ فَقَدِ اسْتَقَامَ عَلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ، فَهِيَ قُرَّةُ الْعُيُونِ، وَحَيَاةُ الْقُلُوبِ، وَلَذَّةُ الْأَرْوَاحِ، فَهِيَ بِهَا الْحَيَاةُ وَالْغِذَاءُ وَالدَّوَاءُ وَالنُّورُ وَالشِّفَاءُ وَالْعِصْمَةُ، وَكُلُّ خَيْرٍ فِي الْوُجُودِ فَإِنَّمَا هُوَ مُسْتَفَادٌ مِنْهَا، وَحَاصِلٌ بِهَا، وَكُلُّ نَقْصٍ فِي الْوُجُودِ فَبِسَبَبِ إِضَاعَتِهَا، وَلَوْلَا رُسُومٌ قَدْ بَقِيَتْ لَخَرِبَتِ الدُّنْيَا وَطُوِيَ الْعَالَمُ، وَهِيَ الْعِصْمَةُ لِلنَّاسِ، وَقِوَامُ الْعَالَمِ، وَبِهَا يُمْسِكُ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا، فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ ﷻ خَرَابَ الدُّنْيَا وَطَيَّ الْعَالَمِ، رَفَعَ إِلَيْهِ مَا بَقِيَ مِنْ رُسُومِهَا، فَالشَّرِيعَةُ الَّتِي بَعَثَ اللَّهُ بِهَا رَسُولَهُ هِيَ عَمُودُ الْعَالَمِ، وَقُطْبُ الْفَلَاحِ وَالسَّعَادَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَنَحْنُ نَذْكُرُ تَفْصِيلَ مَا أَجْمَلْنَاهُ فِي هَذَا الْفَصْلِ بِحَوْلِ اللَّهِ

وَتَوْفِيقِهِ ومَعُونَتِهِ بِأَمْثِلَةٍ صَحِيحَةٍ: الْمِثَالُ الْأَوَّلُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ شَرَعَ لِأُمَّتِهِ إِنْكَارَ الْمُنْكَرِ؛ لِيحْصُلَ بِإِنْكَارِهِ مِنَ الْمَعْرُوفِ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فَإِذَا كَانَ إِنْكَارُ الْمُنْكَرِ يَسْتَلْزِمُ مَا هُو أَنْكَرُ مِنْهُ وَأَبْغَضُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَإِنَّهُ لَا يَسُوغُ إِنْكَارُهُ، وَإِنْ كَانَ اللَّهُ يُبْغِضُهُ وَيَمْقُتُ أَهْلَهُ، وَهَذَا كَالْإِنْكَارِ عَلَى الْمُلُوكِ وَالْوُلَاةِ بِالْخُرُوجِ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّهُ أَسَاسُ كُلِّ شَرٍّ وَفِتْنَةٍ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ.

وَقَدِ اسْتَأْذَنَ الصَّحَابَةُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي قِتَالِ الْأُمَرَاءِ الَّذِينَ يُؤَخِّرُونَ الصَّلَاةَ عَنْ وَقْتِهَا، وَقَالُوا: أَفَلَا نُقَاتِلُهُمْ؟ فَقَالَ: «**لَا، مَا أَقَامُوا الصَّلَاةَ**»(١). وَقَالَ: «**مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ مَا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ، وَلَا يَنْزِعَنَّ يَدًا مِنْ طَاعَتِهِ**»(٢).

وَمَنْ تَأَمَّلَ مَا جَرَى عَلَى الْإِسْلَامِ فِي الْفِتَنِ الْكِبَارِ وَالصِّغَارِ رَآهَا مِنْ إِضَاعَةِ هَذَا الْأَصْلِ، وَعَدَمِ الصَّبْرِ عَلَى مُنْكَرٍ؛ فَطَلَبَ إِزَالَتَهُ، فَتَوَلَّدَ مِنْهُ مَا هُو أَكْبَرُ مِنْهُ؛ فَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرَى بِمَكَّةَ أَكْبَرَ الْمُنْكَرَاتِ وَلَا يَسْتَطِيعُ تَغْيِيرَهَا، بَلْ لَمَّا فَتحَ اللَّهُ مَكَّةَ، وَصَارَتْ دَارَ إِسْلَامٍ عَزَمَ عَلَى تَغْيِيرِ الْبَيْتِ وَرَدِّهِ عَلَى

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٨٥٥).

(٢) الْبُخَارِيُّ (٧١٤٣) وَمُسْلِمٌ (١٨٤٩).

قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ، وَمَنَعَهُ مِنْ ذَلِكَ -مَعَ قُدْرَتِهِ عَلَيْهِ- خَشْيَةُ وُقُوعِ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ مِنْ عَدَمِ احْتِمَالِ قُرَيْشٍ لِذَلِكَ؛ لِقُرْبِ عَهْدِهِمْ بِالْإِسْلَامِ وَكَوْنِهِمْ حَدِيثِي عَهْدٍ بِكُفْرٍ[1]؛ وَلِهَذَا لَمْ يَأْذَنْ فِي الْإِنْكَارِ عَلَى الْأُمَرَاءِ بِالْيَدِ؛ لِمَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ مِنْ وُقُوعِ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ كَمَا وُجِدَ سَوَاء.

فَإِنْكَارُ الْمُنْكَرِ أَرْبَعُ دَرَجَاتٍ:

الْأُولَى: أَنْ يَزُولَ وَيَخْلُفَهُ ضِدُّهُ.

الثَّانِيَةُ: أَنْ يَقِلَّ، وَإِنْ لَمْ يَزُلْ بِجُمْلَتِهِ.

الثَّالِثَةُ: أَنْ يُخْلِفَهُ مَا هُوَ مِثْلُهُ.

الرَّابِعَةُ: أَنْ يَخْلُفَهُ مَا هُوَ شَرٌّ مِنْهُ.

فَالدَّرَجَتَانِ الْأُولَيَانِ مَشْرُوعَتَانِ، وَالثَّالِثَةُ مَوْضِعُ اجْتِهَادٍ، وَالرَّابِعَةُ مُحَرَّمَةٌ.

---

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ (١٥٨٥) وَلَفْظُهُ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ: «**لَوْلَا حَدَاثَةُ قَوْمِكِ بِالْكُفْرِ لَنَقَضْتُ الْبَيْتَ، ثُمَّ لَبَنَيْتُهُ عَلَى أَسَاسِ إِبْرَاهِيمَ** ﷺ، فَإِنَّ قُرَيْشًا اسْتَقْصَرَتْ بِنَاءَهُ وَجَعَلَتْ لَهُ خَلْفًا» قَالَ هِشَامٌ: يَعْنِي بَابًا، وَفِي رِوَايَةٍ مُسْلِمٍ (١٣٣٣/ ٤٠٥): «**وَلَوْلَا أَنَّ قَوْمَكِ حَدِيثٌ عَهْدُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَأَخَافُ أَنْ تُنْكِرَ قُلُوبُهُمْ...**».

وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ -قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ- يَقُولُ: مَرَرْتُ أَنَا وَبَعْضُ أَصْحَابِي فِي زَمَنِ التَّتَارِ بِقَوْمٍ مِنْهُمْ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ، فَأَنْكَرَ عَلَيْهِمْ مَنْ كَانَ مَعِي، فَأَنْكَرْتُ عَلَيْهِ وَقُلْتُ لَهُ: إِنَّمَا حَرَّمَ اللَّهُ الْخَمْرَ لِأَنَّهَا تَصُدُّ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ، وَهَؤُلَاءِ يَصُدُّهُمُ الْخَمْرُ عَنْ قَتْلِ النُّفُوسِ وَسَبْيِ الذُّرِّيَّةِ وَأَخْذِ الْأَمْوَالِ، فَدَعْهُمْ» اهـ.

فَرَحْمَةُ اللَّهِ عَلَى الْإِمَامَيْنِ بِفِقْهِهِمَا الْعَالِي الْقَوِيمِ.

وَقَالَ النَّوَوِيُّ فِي شَرْحِ مُسْلِمٍ (٩/ ٦١، بَابُ نَقْضِ الْكَعْبَةِ وَبِنَائِهَا) ح: (١٣٣٣): «وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ دَلِيلٌ لِقَوَاعِدَ مِنَ الْأَحْكَامِ مِنْهَا: إِذَا تَعَارَضَتِ الْمَصَالِحُ أَوْ تَعَارَضَتْ مَصْلَحَةٌ وَمَفْسَدَةٌ وَتَعَذَّرَ الْجَمْعُ بَيْنَ فِعْلِ الْمَصْلَحَةِ وَتَرْكِ الْمَفْسَدَةِ بُدِئَ بِالْأَهَمِّ، لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَخْبَرَ أَنَّ نَقْضَ الْكَعْبَةِ وَرَدَّهَا إِلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ مِنْ قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ ﷺ مَصْلَحَةٌ، وَلَكِنْ تُعَارِضُهُ مَفْسَدَةٌ أَعْظَمُ مِنْهُ، وَهِيَ خَوْفُ فِتْنَةِ بَعْضِ مَنْ أَسْلَمَ قَرِيبًا، وَذَلِكَ لِمَا يَعْتَقِدُونَهُ مِنْ فَضْلِ الْكَعْبَةِ، فَيَرَوْنَ تَغْيِيرَهَا عَظِيمًا، فَتَرَكَهَا ﷺ. وَمِنْهَا فِكْرُ وَلِيِّ الْأَمْرِ فِي مَصَالِحِ رَعِيَّتِهِ وَاجْتِنَابِهُ مَا يَخَافُ مِنْهُ تَوَلُّدَ ضَرَرٍ عَلَيْهِمْ فِي دِينٍ أَوْ دُنْيَا» اهـ.

وَالْعَالِمُ يَدْخُلُ فِي عُمُومِ مَعْنَى وَلِيِّ الْأَمْرِ عَلَى قَوْلٍ لِلسَّلَفِ

فِي ذَلِكَ[1] .

وَقَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ (٣/ ٥١٢/ ح: ١٥٨٦): «وَفِي حَدِيثِ بَنَاءِ الْكَعْبَةِ مِنَ الْفَوَائِدِ: اجْتِنَابُ وَلِيِّ الْأَمْرِ مَا يَتَسَرَّعُ النَاسُ إِلَى إِنْكَارِهِ، وَمَا يُخْشَى مِنْهُ تَوَلُّدُ الضَّرَرِ عَلَيْهِمْ فِي دِينٍ أَوْ دُنْيَا وَتَأَلُّفُ قُلُوبِهِمْ بِمَا لَا يُتْرُكُ فِيهِ أَمْرٌ وَاجِبٌ، وَفِيهِ تَقْدِيمُ الْأَهَمِّ فَالْأَهَمِّ مِنْ دَفْعِ الْمَفْسَدَةِ وَجَلْبِ الْمَصْلَحَةِ، وَإِنَّهُمَا إِذَا تَعَارَضَا بُدِئَ بِدَفْعِ الْمَفْسَدَةِ، وَأَنَّ الْمَفْسَدَةَ إِذَا أُمِنَ وُقُوعُهَا عَادَ اسْتِحْبَابُ عَمَلِ الْمَصْلَحَةِ» اهـ.

وَعَلَى صَعِيدٍ آخَرَ: تَجِدُ صِنْفًا غَالَى فِي دَرْءِ الْفِتَنِ حَتَّى كَادَ أَنْ يَخْرُجَ عَنِ الْإِسْلَامِ؛ فَقَالَ بِأُخُوَّةِ النَّصَارَى، وَأَنَّهُمْ يَجُوزُ لَهُمْ تَوَلِّي الْخِلَافَةَ وَالْحُكْمَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَأَنَّ الشَرِيعَةَ مَا هِيَ إِلَّا أُصُولٌ عَامَّةٌ مِنَ الْمَحَبَّةِ وَالْمُؤَاخَاةِ وَالْعَدْلِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالنَّصَارَى، وظَلَّ يَخْرُجُ عَلَى قَنَوَاتِهِمُ الْفَضَائِيَّةِ الَّتِي يُحَارِبُونَ فِيهَا وَمِنْهَا الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ جِهَارًا نَهَارًا مِنْ غَيْرِ مَا تَوْرِيةٍ

(١) قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النِّسَاءِ: ٥٩] قَالَ: «قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: ﴿وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ يَعْنِي: أَهْلَ الْفِقْهِ وَالدِّينِ، وَقَالَ آخَرُونَ: يَعْنِي: الْعُلَمَاءَ، وَالظَّاهِرُ -وَاللَّهُ أَعْلَمُ- أَنَّهَا عَامَّةٌ فِي كُلِّ أُولِي الْأَمْرِ مِنَ الْأُمَرَاءِ وَالْعُلَمَاءِ» اهـ.

وَلَا إِخْفَاءٍ، فَأَصَابَهُ قَوْلُ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ الَّذِي رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي الْحِلْيَةِ (٢٨٧١): قَالَ:

«يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ رِياحٌ وَظُلْمَةٌ، فَيَفْزَعُ النَّاسُ إِلَى عُلَمَائِهِمْ فَيَجِدُونَهُمْ قَدْ مُسِخُوا» وَفِي الْمَسْأَلَةِ حَدِيثٌ مَرْفُوعٌ لَمْ يَصِحَّ سَنَدُهُ.

وَهُو مَسْخٌ فِي الْقُلُوبِ تُهْدَمُ بِهِ عُرَى الْإِسْلَامِ عُرْوَةً عُرْوَةً.

قَالَ تَعَالَى: ﴿تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [الْبَقَرَة: ١١٨].

وَمَنْهَجُ السَّلَفِيَّةِ الْحَقَّةِ، إِنَّمَا هُوَ الِاعْتِدَالُ بَيْنَ الْإِفْرَاطِ وَالتَّفْرِيطِ، وَالْوَسَطِيَّةُ بَيْنَ الْغَالِي وَالْجَافِي.

رَوَى الدَّارِمِيُّ فِي سُنَنِهِ (٢٠٢) فِي الْمُقَدِّمَةِ عَنِ التَّابِعِيِّ الْجَلِيلِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ أَنَّهُ قَالَ: «سُنَّتُكُمْ وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ بَيْنَهُمَا: بَيْنَ الْغَالِي وَالْجَافِي، فَاصْبِرُوا عَلَيْهَا، رَحِمَكُمُ اللَّهُ، فَإِنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ كَانُوا أَقَلَّ النَّاسِ فِيمَا مَضَى، وَهُمْ أَقَلُّ النَّاسِ فِيمَا بَقِيَ، الَّذِينَ لَمْ يَذْهَبُوا مَعَ أَهْلِ الْإِتْرَافِ فِي إِتْرَافِهِمْ، وَلَا مَعَ أَهْلِ الْبِدَعِ فِي بِدَعِهِمْ، وَصَبَرُوا عَلَى سُنَّتِهِمْ حَتَّى لَقُوا رَبَّهُمْ، فَكَذَلِكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَكُونُوا».

وَعَيْنُ الْوَسَطِيَّةِ الْحَقَّةِ إِنَّمَا يَتَمَثَّلُ فِي اتِّبَاعِ مَنْهَجِ سَلَفِنَا الْكِرَامِ ﷺ مِنْ غَيْرِ مَيْلٍ عَنْهُ يَمْنَةً وَلَا يَسْرَةً فِي كُلِّ الشُّئُونِ وَالْأُمُورِ صَغِيرِهَا وَكَبِيرِهَا؛ إِذْ هُو مَنْهَجٌ يَنْضَبِطُ السَّائِرُونَ عَلَيْهِ بِالاسْتِقَامَةِ عَلَى الْحَقِّ، وَالِاتِّبَاعِ، وَالْمَرْجِعِيَّةِ إِلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ عَلَى فَهْمِ الصَّحَابَةِ الْأَطْهَارِ وَمَنِ اقْتَفَى آثَارَهُمْ وَاتَّبَعَ هَدْيَهُمْ مِنَ التَّابِعِينَ وَتَابِعِيهِمْ وَمَنْ بَعْدَهُمْ مَنْ أَئِمَّةِ هَذَا الدِّينِ الْحَنِيفِ الْقَوِيمِ الَّذِي يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ.

* * *

خَاتِمَةُ الرِّسَالَةِ

(فَلْيَسَعْكَ مَا وَسِعَ سَلَفَكَ الْكِرَامَ)

يَقُولُ الْعَلَّامَةُ ابْنُ أَبِي الْعِزِّ الْحَنَفِيُّ فِي شَرْحِ الطَّحَاوِيَّةِ (ص: ٢٦١ - ٢٦٢): «اعْلَمْ أَنَّ مَبْنَى الْعُبُودِيَّةِ وَالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ عَلَى التَّسْلِيمِ وَعَدَمِ الْأَسْئِلَةِ عَنِ تَفَاصِيلِ الْحِكْمَةِ فِي الْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي وَالشَّرَائِعِ؛ وَلِهَذَا لَمْ يَحْكِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَنْ أُمَّةِ نَبِيٍّ صَدَّقَتْ نَبِيَّهَا وَآمَنَتْ بِمَا جَاءَ بِهِ، أَنَّهَا سَأَلَتْهُ عَنْ تَفَاصِيلِ الْحِكْمَةِ فِيمَا أَمَرَهَا بِهِ وَنَهَاهَا عَنْهُ وَبَلَّغَهَا عَنْ رَبِّهَا، وَلَوْ فَعَلَتْ ذَلِكَ لَمَا كَانَتْ مُؤْمِنَةً بِنَبِيِّهَا، بَلِ انْقَادَتْ وَسَلَّمَتْ وَأَذْعَنَتْ، وَمَا عَرَفَتْ مِنَ الْحِكْمَةِ مَا عَرَفَتْهُ، وَمَا خَفِي مِنْ شَأْنِهَا، وَكَانَ رَسُولُهَا أَعْظَمَ عِنْدَهَا مِنْ أَنْ تَسْأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ، كَمَا فِي الْإِنْجِيلِ: (يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَقُولُوا: لِمَ أَمَرَ رَبُّنَا؟ وَلَكِنْ قُولُوا: بِمَ أَمَرَ رَبُّنَا)؛ وَلِهَذَا سَلَفُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، الَّتِي هِيَ أَكْمَلُ الْأُمَمِ عُقُولًا وَمَعَارِفَ وَعُلُومًا لَا تَسْأَلْ نَبِيَّهَا: لِمَ أَمَرَ اللَّهُ بِكَذَا؟ وَلِمَ نَهَى عَنْ كَذَا؟ وَلِمَ يُقَدِّرُ كَذَا؟ وَلِمَ فَعَلَ كَذَا؟؛ لِعِلْمِهِمْ أَنَّ ذَلِكَ مُضَادٌّ لِلْإِيمَانِ وَالِاسْتِسْلَامِ، وَأَنْ قَدَمَ الْإِسْلَامِ

لَا تَثْبُتُ إِلَّا عَلَى دَرَجَةِ التَّسْلِيمِ، فَأَوَّلُ مَرَاتِبِ تَعْظِيمِ الْأَمْرِ: التَّصْدِيقُ بِهِ، ثُمَّ الْعَزْمُ الْجَازِمُ عَلَى امْتِثَالِهِ، ثُمَّ الْمُسَارَعَةُ إِلَيْهِ وَالْمُبَادَرَةُ بِهِ، وَالْحَذَرُ عَنِ الْقَوَاطِعِ وَالْمَوَانِعْ، ثُمَّ بَذْلُ الْجُهُودِ وَالنُّصْحِ فِي الْإِتْيَانِ بِهِ عَلَى أَكْمَلِ الْوُجُوهِ، ثُمَّ فِعْلُهُ لِكَوْنِهِ مَأْمُورًا، بِحَيْثُ لَا يَتَوَقَّفُ الْإِتْيَانُ بِهِ عَلَى مَعْرِفَةِ حِكْمَتِهِ، فَإِنْ ظَهَرَتْ لَهُ فِعْلُهُ، وَإِلَا عَطَّلَهُ، فَإِنَّ هَذَا يُنَافِي الِانْقِيادَ، وَيَقْدَحُ فِي الِامْتِثَالِ» اهـ.

وَقَالَ الْإِمَامُ ابْنُ قُدَامَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي (تَحْرِيمِ النَّظَرِ فِي كُتُبِ الْكَلَامِ) (ص: ٧٠ - ٧١): «مَنْ لَمْ يَسَعْهُ مَا وَسِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَسَلَفَهُ وَأَئِمَّتَهُ فَلَا وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَمَنْ لَمْ يَكْتَفِ بِمَا اكْتَفَوْا بِهِ وَيَرْضَى بِمَا رَضُوا بِهِ، وَيَسْلُكُ سَبِيلَهُمْ وَكُلِّ آخِذٍ مِنْهُمْ، فَهُو مِنْ حِزْبِ الشَّيْطَانِ، وَ﴿إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فَاطِر: ٦] وَمَنْ لَمْ يَرْضَ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، سَلَكَ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ، وَمَنْ سَلَكَ غَيْرَ طَرِيقِ سَلَفِهِ، أَفْضَتْ بِهِ إِلَى تَلَفِهِ، وَمَنْ مَالَ عَنِ السُّنَّةِ فَقَدِ انْحَرَفَ عَنْ طَرِيقِ الْجَنَّةِ.

فَاتَّقُوا اللَّهَ تَعَالَى، وَخَافُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّ الْأَمْرَ

صَعْبٌ، وَمَا بَعْدَ الْجَنَّةِ إِلَّا النَّارُ، وَمَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ، وَلَا بَعْدَ السُّنَّةِ إِلَّا الْبِدْعَةُ» اهـ.

نَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى - الْغَالِبَ عَلَى أَمْرِهِ، الْقَاهِرَ فَوْقَ عِبَادِهِ، الْعَزِيزَ الْحَكِيمَ، أَنْ يُؤَلِّفَ بَيْنَ قُلُوبِنَا، وَيَجْمَعَ شَتَاتَنَا، وَيُوحِّدَ أَمْرَنَا عَلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ، وَأَنْ يُفَقِّهَنَا فِي الدِّينِ وَيُعَلِّمَنَا التَّأْوِيلَ، وَأَنْ يُصْلِحَ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَأَنْ يُرِينَا الْحَقَّ حَقًّا وَيَرْزُقَنَا اتِّبَاعَهُ، وَالْبَاطِلَ بَاطِلًا وَيَرْزُقَنَا اجْتِنَابَهُ، وَأَنْ يُحْيِي بَيْنَنَا مَنْهَجَ السَّلَفِ الصَّالِحِ الْكِرَامِ؛ إِنَّهُ الصَّمَدُ الْبَرُّ الْوَدُودُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ. سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ.

كَتَبَهُ/ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ
عِيدُ أَبُو السُّعُودِ الْكَيَّالِ
وَكَانَ الانْتِهَاءُ مِنْهُ: صَبَاحَ يَوْمِ الْأَحَدِ/
١٩/ جُمَادَى الْآخِرَةِ/ ١٤٣٢/
الْمُوافِق/ ٢٢/ ٥/ ٢٠١١
م: (٠١٠٣٩١٥٢٧٠)

فِهْرِسُ الْكِتَابِ

إِهْدَاءٌ إِلَى السَّلَفِيِّينَ الْغُرَبَاءِ الْخُلَّصِ ٣
مُقَدِّمَة ٤
سَرْدُ الْمَسَائِلِ الَّتِي تَقُومُ عَلَيْهَا الرِّسَالَةُ ٧
• **الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى: الْمَقْصُودُ بِالسَّلَفِيَّةِ لُغَةً وَشَرْعًا** ٨
أَوَّلًا: الْمَعْنَى اللُّغَوِيُّ لِلسَّلَفِيَّةِ ٨
ثَانِيًا: الْمَعْنَى الشَّرْعِيُّ لِلسَّلَفِيَّةِ ١٠
ثَالِثًا: نَقْلُ الْإِجْمَاعِ عَلَى أَنَّ مَذْهَبَ السَّلَفِ هُوَ الْمَذْهَبُ الْحَقُّ ١٣
رَابِعًا: بِدَايَةُ التَّسْمِيةِ بِالسَّلَفِيَّةِ ١٦
خَامِسًا: نَقْلُ الْإِجْمَاعِ عَلَى وُجُوبِ اتِّبَاعِ السَّلَفِ ١٧
• **الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: السَّلَفِيُّونَ هُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ** ... ١٩
أَوَّلًا: مَنْ هُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَمَا هِي خَصَائِصُهُمْ؟ .. ١٩
ثَانِيًا: السَّلَفِيُّونَ أَهْلُ الِاتِّبَاعِ الْمَحْضِ ٢١
ثَالِثًا: الْوَهَّابِيَّةُ الْمُفْتَرَى عَلَيْهَا هِي أَصْلُ السَّلَفِيَّةِ الْمُعَاصِرَةِ . ٢٥
• **الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ: السَّلَفِيَّةُ أَمَانٌ لِلْأُمَّةِ، فَإِذَا ذَهَبَتِ السَّلَفِيَّةُ أَتَى الْأُمَّةَ مَا يُوعَدُونَ وَهِيَ الْفِرْقَةُ النَّاجِيةُ مِنْ بَيْنِ الْفِرَقِ** ... ٢٩
أَوَّلًا: السَّلَفِيَّةِ أَمَنَةٌ لِلْأُمَّةِ ٣٠
ثَانِيًا: السَّلَفِيَّةُ هِيَ الْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ ٣٣
ثَالِثًا: خَصَائِصُ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ ٣٥

الضَّابِطُ الصَّحِيحُ لِلْفِرْقَةِ النَّاجِيةِ وَالسَّلَفِيَّةِ الْحَقَّةِ: الاسْتِقَامَةُ عَلَى الْحَقِّ ٣٩
السَّلَفِيُّونَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ٤٤
السَّلَفِيُّونَ قَوْم يَنْطِقُونَ بِالْحِكْمَةِ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى ٤٥
السَّلَفِيُّونَ الْخُلَّصُ أَبْعَدُ النَّاسِ عَنِ الدُّنْيَا ٤٥
السَّلَفِيَّةُ فِطْرَةُ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ٤٥
الْحَائِدُونَ عَنْ سَبِيلِ السَّلَفِ يَأْتِيهِمْ مَا يُوعَدُونَ مِنَ الْهَلَاكِ وَالضَّلَالِ ٤٦
عُمْقُ السَّلَفِ فِي الْفَهْمِ وَالتَّأْوِيلِ وَالِاسْتِنْبَاطِ ٤٩
• **الْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ: مَنْهَجُ السَّلَفِ فِي سَمَاعِ حُجَّةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ** ٥٢
• **الْمَسْأَلَةُ الْخَامِسَةُ: السَّلَفِيُّونَ وَكَنِيسَةُ الْقُلَّيْسِ** ٥٨
أَوَّلًا: أَبْرَهَةُ الْأَشْرَمُ وَكَنِيسَةُ الْقُلَّيْسِ ٥٨
ثَانِيًا: تَعْقِيبٌ عَلَى ضَوْءِ الْوَاقِعِ الْمُعَاصِرِ ٦٢
ثَالِثًا: الْإِمَامُ السَّلَفِيُّ ابْنُ الْقَيِّمِ وَفِقْهُ الْمَصَالِحِ وَالْمَفَاسِدِ .. ٦٨
• **خَاتِمَةُ الرِّسَالَةِ: فَلْيَسَعْكَ مَا وَسِعَ سَلَفُكَ الْكِرَامِ** ٧٦
فِهْرِسُ الْكِتَابِ ٧٩

❊ ❊ ❊